Edited by Foxit Reader
Copyright(C) by Foxit Software Company,2005-2006
For Evaluation Only.

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
ت : ٠٦-٥١-٥٨٩٦٧٩٨٥

هدية

# فواتح المفاتح

## الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه

مع تحقيق متكامل للاسم الأعظم ومشروعية الأحزاب والأوراد
من الكتاب والسنة وبحوث أخرى هامة للغاية

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
مؤسس ورائد
العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الطبعة الثالثة
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

## مَنْ هُمْ .. الصُّوفِيَّة عندنا ؟!

### هُمُ السَّادة عِبَادُ الرَّحمٰن

١- المذكورون في أواخر سورة .. الفرقان.
٢- والمتخصصون بما جاء من العلم والعبادة والخلق في منشورات الحديث الشريف والقرآن.
٣- والمؤثرون بخصائصهم الرفيعة وروحانيتهم السلفية في مسيرة، الحب والتجميع والسلام والسماحة والحضارة والتقدم والعمران لا لجاه ولا دنيا ولا سلطان.
٤- والمندمجون في الحياة بمواهب التسامي والدعوة والمرونة والرجولة والقدوة والوسطية لله تعالى وللأوطان.
٥- قلبٌ مع الحق، وبدنٌ مع الخلق، الجمع في الجنان والفرق في اللسان ...

وذلك هو مقام الإحسان

هدية

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
ت : ٥١٠٠٥٠٦-٥٨٩٦٧٩٨

# فواتح المفاتح

## الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه

**مع تحقيق متكامل للاسم الأعظم ومشروعية الأحزاب والأوراد من الكتاب والسنة وبحوث أخرى هامة للغاية**

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الطبعة الثالثة
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

## أما الإهداء

فإلى : سيدى وحجتى ، وشفيعى وقدوتى ، وجدى ، ووليى وثروتى وعدتى ، وفخارى وظهيرى : باب الله الأعظم ، وحبيبه الأكرم . ورسوله الأفخم « محمّد » ﷺ .

ثم : إلى من عُنى من المسلمين بسنته ، واستمسك بشريعته ، وعمل بطريقته ، وسار بهديه على صراطه : « صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ » .

محمد زكى إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية



• بسم الله الرحمن الرحيم •

## كلمة شباب أمانة الدعوة

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على مصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، فى مبدأ الأمر ومنتهاه .

**أما بعد** : فاعترافا بحقّ البنوة الصادقة لأستاذنا الجليل الإمام المحدث سيدى أبى البركات محمد زكى إبراهيم – رضى الله عنه وأرضاه – ورغبة منّا فى نشر العلم النافع الصحيح ، نقدم لقرائنا هذه الرسالة القيمة : (فواتح المفاتح) .

وقد تضمنت هذه الرسالة بحوثاً طيبة عن الدعاء وشرفه وشروطه وآدابه ، مع بحوث قيّمة ومفيدة عن حكم الدعاء غير الوارد ، والدعاء والقضاء ، والدعاء بالاسم الأعظم ، وحكم الدعاء بالألفاظ الأعجمية ، وحكم قراءة الدعاء من كتاب ، وغير ذلك من جوامع أحكام الدعاء ، بأسلوب جامع نافع ، فى غير إخلال ، على طريقة السادة أهل الحديث .

وقد كان شيخنا - رضى الله عنه - قد كتب هذه الرسالة كمقدمة على كتابه : ( مفاتحُ القُرْب ) ، الذى ضمنه عدداً كبيراً من الأدعية والمُناجيات والتوجهات المأثورة عن الرسول ﷺ ، والسلف الصالح من العلماء والصوفية ، ثم أتبع ذلك بما فتح الله به عليه من دعاء وتوجه وثناء .

وتعتبر هذه الرسالة أيضاً مقدمة لرسالة (المحمديات)، التى جمع فيها شيخنا عدداً كبيراً من الأذكار والأدعية القرآنية والنبوية فى وضع وترتيب جديدين ، يسهل معهما التعبد بها ، وهى مع ذلك مخرجة معزوة إلى أصولها من الكتاب والسنة لا غير .

وهذه الرسالة – على قلة عدد أوراقها – دليلٌ ومفتاح لكل مَن يريد أن يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء ، بأى وردٍ أو حزبٍ أو دعاء ، إذا كان يبتغى أن يسير على طريقة مولانا رسول الله ﷺ ونهجه ، وكلنا ذلك الرجل .

إننا نعيد نشر هذه الرسالة اعترافاً منّا بحق شيخنا، وتقديراً لما تلقيناه على يديه من العلم والنور والبركة، ومالنا لا نعطيه حقه من التعظيم والتوقير والتكريم ، وقد أمرنا



بذلك الله والرسول، وقد كان الإمام مسلم بن الحجاج يقولُ لأستاذه الإمام البخارى: « دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأُستَاذِين ، وسيّد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله » .

ولما تولى الإمام السبكى التدريس فى دار الحديث الكاملية بعد الإمام النووى أنشد :

وفى دار الحديث لطيف معنى
أحن إلى جوانبها وآوى
لعلّى أن أمس بحُرّ وجهى
مكاناً مسّه قدم النواوى

إن هذه الرسالة -على صغر حجمها -، ومع كون أستاذنا - رضى الله عنه - قد كتبها وهو فى سن الطلب ، إذْ كانت الطبعة الأولى لهذه الرسالة فى: (مارس ١٩٣٧م)، ونحن الآن فى (مارس ١٩٩٤م)، إنها لتشهد بما أكرمه الله به من حسن التأليف والتنسيق والتبويب والإفادة الجامعة، كما تشهد بتقدمه وتبحره فى علوم الحديث رواية ودراية .

وقد أُلحق بهذه الطبعة بعض الزيادات ، مما كان قد كتبه شيخنا استدراكاً على الطبعة الأولى بعد نحو عام من

طبعها، ومما كتبه أثناء مراجعة هذه الطبعة ؛ فجاءت بحمد الله محققة منقحة مزيدة ، معزوة الآيات والأحاديث ، نسأل الله تعالى أن يتقبلها .

ومن حسن الفأل أن يكون صدور هذه الطبعة من الرسالة موافقا لإعطاء شيخنا - رضى الله عنه - الإجازة بمروياته من كتب السنة المشرفة وكتب الفقه واللغة والعلوم الإسلامية ؛ لعدد من تلاميذه، محافظةً على سُنَّة التلقى، وإبقاءً على السند الذى هو من خصائص هذه الأمة المحمدية.

وختاماً لكلمة شباب أمانة الدعوة: نرجو الله – تبارك وتعالى – أن ينفعنا وقراءنا بهذه الرسالة ، وبكل ما كتبه وقاله شيخنا – رضى الله عنه – من منثور ومنظوم ، ونسأله – سبحانه وتعالى – أن يبارك لنا فى عمره ، وأن يجزيه عنّا خير الجزاء . والله الموفق .

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

عن شباب أمانة الدعوة :

محيي الدين حسين يوسف



• بسم الله الرحمن الرحيم •

**(١) ثناء :**

إنّ الحمد لله تبارك وتعالى ، وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله المصطفى ، ورضى الله عن آله وصحابته وتابعيهم ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، ونستفتح بالذى هو خير :

**(٢) تمهيد :**

**أما بعد** : فقد ألحت علىّ رغبة مؤمنة من نفسى ، وممن أكرمنى الله بأُخوتهم فيه تعالى ، فاستعنت الله فى جمع هذه الرسالة ، ووضع مقدمتها ، ولا أدعى أن فيها جديداً غير الترتيب ، والتحقيق العلمى والإخلاص فيما أرجو ؛ على أن ذلك عمل هو أعسر أضعافاً فيما أعرف من التأليف الخالص :

**(٣) المراجع :**

وكانت أهم المراجع التى استعنت بها؛ هى : ما محصه الإمام النووى والشوكانى والمنذرى والصنعانى ، وما جمعه

العلامة ابن السني وابن القيم ، وما دونه أصحاب المسانيد والسنن والكتب الصحيحة على أنواعها أجزل الله عطاءهم، وقد عنيت عناية كبرى برد كل دعاء أو حكم إلى مصدره حتى لا تجد هنا – بإذن الله – كلمة إلاّ هي من قول الرسول ﷺ منسوبة إلى مخرجها ، أو كتابها ؛ باختصار تام ، واختيار دقيق .

## (٤) شرف الدعاء مطلقا :

**قال الصنعاني ما جملته:** اعلم أن الدعاء ذكر الله وزيادة ؛ فكل حديث في فضل الذكر يصدق عليه ، وقد أمر به الله تعالى فقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة : ١٨٦ .

وفي حديث الترمذي (٣٣٧١) « الدعاء مخُ العبادة » (١)، وفي الترمذي (٣٣٧٣) ، والبخاري في الأدب (٦٥٨) مرفوعاً : « مَنْ لم يَسْأَلِ اللهَ يغضب عليه » ، وفي الترمذي (٣٥٧١)، والطبراني (١٠:١٢٥) كذلك مرفوعاً : « سلوا الله من فضله

(١) قال الترمذي :غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعة ، وسيأتي صحيحاً بلفظ : « الدعاء هو العبادة » .



فإنه يُحبّ أن يُسْأَل » ، والأحاديث في الحث عليه كثيرة ، وهو يتضمن حقيقة العبودية ، والاعتراف بغنى الرب ، وافتقار العبد ، وإحاطته تعالى بكل شيء ، ولذلك علمه الله تعالى لعباده كافة ، وأنبيائه خاصة ، ورواه عنهم في كتابه الكريم ( انتهى ) .

**نقول** :وأنت واجد قيمة الدعاء وآثاره ملموسة محسوسة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ الفرقان : ٧٧ .

وفيما رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، والبيهقي (٣٨٢٩) ، وابن حبان (٢٣٩٧) ، وأحمد (٢:٣٦٢) وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً : « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء » .

وقد روى الترمذي (٣٢٤٧، ٣٣٧٢) ، وابن حبان (٢٣٩٦)، وأبو نُعَيم في الحلية (٨:١٢٠) ، وهو صحيح ثابت عنه ﷺ قال : « الدعَاءُ هُوَ العِبَادَةَ » ، وكفى بهذا ترغيبا وتشريفاً.

وأخرج الترمذي (٣٣٨١) ، وأحمد (١٣:١٨) ، وأبو نُعَيم في الحلية (٥:١٣٧) : « ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة

إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، مالم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم » .

وقد ورد عند أبى داود (١٥٣٤) ، والبخارى فى التاريخ (٨٨:٣) ، وغيرهما أن المؤمن إذا دعى لأخيه بظهر الغيب وكّل الله به ملَكاً يقول له : « ولك مثل ذلك » ، ودعاء الملَك مستجاب ، ولهذا جاء عن بعض الصالحين أنه كان إذا ألمت به ملَمّة أخذ يدعو لإخوانه بظهر الغيب ؛ ليدعو له الملَك بمثل دعائه ؛ فيستجيب الله له .

وهذا جميعاً مقام أهل الاختيار ( وكلنا منهم ) ، وليس أولى بنا من تملق الله وكثرة دعائه ، أمّا مقام أهل التسليم فالكلام عليه طويل ، وفيه إجمال وتفصيل ( وسيأتى بعد ).

## (٥) فضل الدعاء المأثور

وقد أجمع العالمون على أن الدعاء بالوارد أقرب إلى الإستجابة ، لمَا فيه من القدوة والمدد .

**قال صاحب « رسالة الدعاء » أثابه الله :** « والسرُّ فى ذلك أن الداعى إن كان على حال ناقصة ؛ فإن لفظ الدعاء



يجبر النقص لما فيه من معنى الشفاعة بمصدر الأدعية والتبرك بها » .

**أقول :** وهذا مضاف إلى ما فى العبارات النبوية من القداسة والحياة والروحانية ومعنى الوحى والإعجاز العام ، كل هذا وما حوله يعطى المأثور حقوقاً وأفضالا وأولويةً وشرفاً لا حدّ له ، ويجعله أحب إلى الله ، وأحق بالثواب وأبلغ فى النفس ، وأدنى إلى الإستجابة ، وذلك من بعض السبب فى جمع هذه الرسالة .

## (٦) شروط الدعاء

**من شرط الدعاء :** فهم معناه ولو إجمالا ، وصحة النطق به بقدر الإمكان ففى الصحاح عنه ﷺ «ليس للمرء من صلاته إلا ماعقَل » ، ومن الصلاة : الدعاء ، وهو يراد بها لغة كذلك .

**ومن شروطه :** التوبة والضراعة . كما قال تعالى : ﴿ادعُوا ربكُم تضرُّعاً وخُفْيَةً﴾ الأعراف : ٥٥ ، ولذلك مدح تعالى زكريا ﴿ إذ نادَى ربّهُ نداءً خفيّاً ﴾ مريم :٣ ,.

**ومنها** : الاستحضار واليقين بالإجابة . كما أمر الرسول ﷺ فى رواية الترمذى (٣٤٧٩) وغيره : « ادعُوا اللهَ وأنتم موقِنونَ بالإجابة » .

**ومن شروطه الكبرى** : التزام الحلال . فقد أخرج مسلم والترمذى فى حديث الطبقات أنه ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمدُّ يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذى بالحرام ؛ فأنَّى يُستجاب له ؟

**ومن الشروط الهامة** : عدم رفع بصره إلى السماء فى دُعائه حتى لا يخطف بصره كما أنذر به الرسول ﷺ فى رواية مسلم عن أبى هريرة .

## (٧) أدب الدعاء :

**ومن أدب الدعاء** : الطهارة ، ورفع الأيدى مبسوطة مع ضم الكفين إلى بعضهما (١) ، على ما ثبت فى

(١) وفى حديث الترمذى (٣٥٥٦) : « إن ربكم يستحيى مِن العبد إذا مدَّ يديه إليه أن يردَّهُما صِفرًا ليس فيهما شيئ » ، وهو ممَّا تواتر فى المعنى .



الصحاح ، وذكره الحاكم والطبرانى والبيهقى عن جمع من الصحابة . وصنف له المنذرى والنووى وغيرهما ، ومحاذاتهما للمنكبين ، كما رواه أبو داود والحاكم وغيرهما ، ولا يرى بعضهم بأسًا برفع اليدين إلى أعلى من الرأس فى الشدة .

وأن يبدأ بالحمد والثناء والصلاة على الرسول ﷺ على ما رواه أبو دواد وغيره .

وأن يقول بعد ذلك « سبحان ربىَّ العلىِّ الأعلَى الوهاب» على رواية أحمد (٥٤:٤) ، والحاكم (٤٩٨:١) .

ويرى بعض أهل السنة كصاحب المدخل وغيره ضرورة ذكر اسم الله الأعظم « اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحَىُّ القيومُ » بعد الثناء ، وقبل البدء بالدعاء ، ولعل الأَوْلَى أن يستفتح بنحو قوله : « بسم اللَّه الذى لا إله الا هُوَ الحىُّ القَيّومُ والحمدُ لله ، والصَلاةُ والسلامُ على النبىِّ ومن والاَه ، وسبحانَ ربىَّ العلىِّ الأعلَى الوهَاب » ثم يدعو .

**قال الصنعانى فى ذلك** : « وهو – أى شرط تقديم هذا الثناء على الدعاء – دليل على تقديم الوسائل بين يدى

المسائل ، وذلك نظير ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة :٥ ، حيث قدم الوسيلة ، وهى طلب العبادة ، على طلب الاستعانة » انتهى .

**نقول:** ومن آدابه : التثليث ؛ فقد أخرج أبو داود (١٥٢٤)، وأحمد (١:٤٩٤، ٢٩٧) ، والطبرانى (١٠:١٩٧)، وأبو نُعيم (٤:٢٤٨) عن ابن عمر – رضى الله عنهما ـ : « أنه كان يعجبهُ ﷺ أن يدعوَ ثلاثاً، ويستغفرَ ثلاثاً » .

فإذا فُتح على العبد بنفحة أو مدد ، خصوصاً إذا أحس قشعريرة أو دمعت عيناه ، ووجد فى نفسه رغبةً إلى تكرير دعوة أكثر من ثلاث مرات ؛ فليفعل ؛ فقد أخرج النسائى وغيره عن أبى ذر الغفارى – رضى الله عنه – أن النبىَّ ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائدة:١١٨.

وهذا الحديث وإن كان تشريعاً لجواز تكرير آية لسبب روحى ؛ فعليها يقاس تكرير دعوة لمثل هذا السبب ، ويناسبه قوله ﷺ : « من فُتح له فى الدعاء منكم ؛ فتحت له أبواب الإجابة ، وأبواب الجنة ، وأبواب الرحمة » .



وروى الترمذى عنه ﷺ : « إذا فتح على العبد الدعاء فليدع ربه ؛ فإن الله يستجيب » .

**ومنه** : استقبال القبلة ؛ لحديث أبى داود « خيرُ المجالس ما استُقْبِلَ به القبلة » ، وحديث البخارى فى الاستسقاء قال : « فتوجَّهَ النبىُّ ﷺ إلى القبلة يدعُو » ، وحديث النسائى ومسلم : « أتى الموقف بعرفَةَ ، واستقبل القبلة ، ولم يزل يدعُو حتىَّ غربت الشمس » .

**ومن آداب الدعاء** : العزم فى المسألة ؛ لحديث مالك فى الموطأ (١:٢١٢) : « لا يَقُل الدَّاعى فى دُعَائه : اللهُمَّ ارْحَمنى إن شئتَ ، لِيَعْزِم المسألَةَ ؛ فإنَّه لا مُكرِه له » ، وفى رواية لمسلم (٢٦٧٩) : « فإنَّ الله لا يتعاظمُهُ شيءٌ أعطاه » .

**ومن الأدب** : مداومة الدعاء فى كل حال كما قال تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ الأنبياء :٩٠ .

وأن يدعوَ فى الرغبة بباطن الأكف ، وفى الرهبة بظهرها ، فقد روى أحمد (٤:٥٦) عن خلاد بن السائب أن النبىَّ ﷺ « كان إذا سأل جعل بطن كفيَّه إلى السماء ،

وإذا استعاذ جعل ظهرهما إليها » ، وعليه حديث مسلم فى الاستسقاء أيضاً « أنه أشار بظهر كفيّه إلى السماء » .

**ومن الأدب** : مسح وجهه بكفيه بعد الدعاء ؛ لحديث أبى داود (١٤٩٢) ، وأحمد (٢٢١:٤) وغيرهما بروايات متعددة: « كان ﷺ إذا مدَّ يديه فى الدعاء لم يردّهما حتى يمسح بهما وجهه » ؛ فإذا تعرَّف الإجابة قال « الحمدُ لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات » ؛ فإذا أبطأ الأمر قال « الحمدُ لله على كل حال » كما رواه البيهقى (٣٨٠٣) والحاكم (٤٩٩:١)، وابن حبان (٣٨٠٣) .

**ومن الأدب** : تقديم عمل صالح من صدقة أو صلاة أو نحو ذلك بين يدىّ الدعاء فهو أرجى للقبول ؛ قال وهبُ بن مُنبِّه : مثَلُ الذى يدعُو بغير عمل كالذى يرمى بغير وَتر !!

**ومن الأدب** : سؤال الله – تبارك وتعالى – كل شيئ قلّ أو جلّ ، حتى الطعام وشسع النعل ، روى ذلك الترمذى وغيره .

**ومن الأدب فى الدعاء** : ألا يتكلف الداعى السجع عمداً ، كما جاء التحذير منه فى البخارى .

**ومنه** : أن يدعوَ لوالديه وإخوانه المؤمنين ، كما رواه



مسلم ، وأن يدعو لمن سبقه من المؤمنين ، كما ذكر فى القرآن ، وألا يخص نفسه بالدعاء إن كان إماماً أو زعيماً لآخرين ، كما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والقزوينى والديلمى ، وأن يؤمِّن الداعى والمستمع ، كما فى البخارى ومسلم والنسائى وأبى داود .

**ومنه** : أن يجثوَ على ركبتيه عند الذكر والدعاء، كما رواه الأربعة ، وأن يَعُدَّ ذكره ودعاءه بعقْد الأنامل ؛ فإنهن مسئولات ومستنطقات، كما فى الترمذى وأبى داود (وهذا لا يمنع استخدام المسبحة فيما لا ينضبط عدّه على الأنامل).

## (٨) أسباب الاستجابة وأوقات الدعاء

من صحيح المأثور قوله ﷺ فيما نقله ابن الحاج: « إنَّ لله نفحات؛ فتعرضوا لنفحات الله (١) » ، فمن البر اغتنام أوقات الرضا، وأماكن القبول ، وأوصاف الخير ، وأسرار

---

(١) ورواه الطبرنى فى الكبير (٢٣٤:١٩) بلفظ : « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ؛ لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » ، ولا بن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق ٤٣٥:٦) ، وللدولابى (الكنى والأسماء ٢٠:٢) بلفظ « تعرضوا لنفحات الله فى أيام دهركم »، وله روايات أخرى .

الأدعـيـة ، وأكـثـر مـا ننقل فى هذا البـاب عن الإمـام السيوطى، ولكن بأسلوبنا الخاص ، قال - رضى الله عنه - : يستجاب الدعاء – مع رعاية شروطه وآدابه – لسبب من أربعة ، إمّا لوصف فى الداعى ، أو فضل فى الوقت ، أو شرف للمكان ، أو سر فى الدعاء :

**فأما الدعاء المستجاب لوصف فى الداعى؛ فمنه:**

دعوة المظلوم – ولو كان فاجراً أوكافراً ذا عهد – (رواه البخارى وأبو داود والترمذى وأحمد ) ، ودعوة المسافر حتى يعود ( رواه مسلم والترمذى والبزار ) ، ودعوة الوالدين على ولدهما بحق ( رواه الأبعة ) ، ودعوة الصائم حتى يفطر (الترمذى والبزار والنسائى ) ، ودعوة الإمام العادل ( الترمذى والبيهقى ) ، ودعوة الذاكر الله كثيراً ( رواه البيهقى ) ، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب ( البخارى وأبو داود والترمذى ) ، والحاج والمعتمر حتى يعودا ( البيهقى وابن ماجة ) والغازى فى سبيل الله حتى يرجع ( ابن ماجة والبيهقى ) ، والمريض والمبتلى حتى يبرأ ( البيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور)، ومَن



يعم بدعائه المؤمنين والمؤمنات ( رواه الديلمى )، ودعوة كثير الدعاء فى الرخاء (الترمذى والحاكم)، ودعوة المفرج عن المعسرين ( رواه أحمد ) ، وذى الشيبة المسلم الملازم للسنَّة (رواه الطبرانى )، ودعوة الحامل للقرآن العامل بما فيه ( رواه البيهقى ) والمُحسَن إليه لصاحب الإحسان ( رواه الديلمى ) ، والمجتمعين على الله بين داع ومؤمّن ( الحاكم وأبو نعيم ) ، ودعوة المضطر ( أبو نعيم والبيهقى ، وجاء فى القرآن ) .

**وأمّا الدعاء المستجاب لفضل فى الوقت ؛ فمنه:**

الدعاء عند الأذان ( رواه البخارى والحاكم وأبو نعيم ) وعند البأس حين تلتحم الصفوف فى سبيل الله (البخارى والحاكم والطبرانى)، وبين الأذان والإقامة (أبوداود والترمذى ) ، وفى الساعة المشهودة فى ثلث الليل الأخير ( مسلم والحاكم والترمذى ) ، وعند نزول الغيث (الطبرانى وأبو نعيم ) ، وعند رؤية الكعبة بمكة (رواه الطبرانى)، وعند هبوب الريح (١) (رواه أبو نعيم ) ، وإذا زالت الشمس عن كبد السماء قدر شراك

(١) ويلحق بهبوب الريح ونزول المطر حكم هزيم الرعد وخفق البرق والزلزال والكسوفين .

(رواه أبو نعيم ) ، والدعاء الموافق ساعة الإجابة من يوم الجمعة (١) ( رواه الشيخان)، والدعاء يوم عرفة خصوصاً عند الغروب (الترمذى وسعيد بن منصور ) ، وفى أول ليلة من رجب (الديلمى وعبد الرزاق والبيهقى ) ، وفى ليلة القدر ( النسائى وابن ماجة والحاكم ) ، وفى ليلة النصف من شعبان ( الديلمى وعبد الرزاق والبيهقى ) ، وفى ليلة الجمعة والعيدين ( الديلمى والترمذى والحاكم ) ، وفى شهر رمضان ( الطبرانى ) وعند ختم القرآن ( البيهقى ) ، ودبر الصلوات المكتوبة ( رواه ابن عساكر) ، وفى السجود فى الصلاة ( رواه مسلم ) والدعاء إذا أحسَّ العبد بالفتوح عليه به ( رواه الترمذى)، وإذا وجد الداعى قشعريرة ودمعاً (رواه أحمد) ، وعند العطاس بعد الحمد ( رواه الطبرانى ) ، وعند غفلة الناس عن الله بقول أو

(١) اجتهد العلماء أن ساعة الإجابة من يوم الجمعة ما بين الأذان والإقامة ، نصَّ عليه الزركشى وغيره ، وقيل : بعد السلام من صلاة الجمعة ، وقيل: من صعود الإمام للمنبر ، وقيل : عند صلاة العصر ، وقال الإمام أحمد: هى آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال شيخنا : وأنا أميل إلى هذا، ومن أجله جعلوا الورد فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، وهو قول شيخنا ابراهيم الخليل بن على الشاذلى رضى الله عنه .



عمل ( رواه أحمد ) ، وعند صياح الديكة ، فإنه دليلٌ على نزول الملائكة ( رواه البخارى ) .

**فائدتان :**

**الأولى** : يتصل بهذا الباب ما أخرجه الحاكم عن أبى أمامة أن الرسول ﷺ قال : « إذا نادى المُنادى - أى بالأذان – فتحت أبواب السماء ، واستجيب الدعاء ، فمن نزل به كرب أو شدة ، فليجيب المنادى ، ثم يقول : « اللهُمَّ رب هذه الدعوة التامة الصادقة المُستجَابة المُستَجابِ لهَا ، دعوة الحق ، وكلمة التقوى ، أحينا عليها وأمتنا عليها ، وأبعثنا عليها ، واجعلنا من خيار أهلها ، أحياءً وأمواتا ، ثم ليسأل الله حاجته » .

وروى الحاكم عنه ﷺ : « دعوةُ ما بين الحَيْعَلَتَيْنِ لَمَنْ نَزَلَتْ به الشَّدَائد » .

**الثانية** : أخرج أبو نُعَيم عن سهل بن معدان أن النبىَّ ﷺ كان إذا زَالَتِ الشمسُ عن كَبِدِ السَّمَاءِ قَدْرَ شراك ، قَامَ فَصلّى أربَعَ ركعات ، قلت : يارسُول الله ما هذه الصَّلاة ؟

قال : مَنْ صلاَّهُنَّ فقد أحْيَا ليلتَهُ ، هذه ساعة تُفْتَحُ فيها أبوابُ السَّماء » .

**قلنا** : وهذا تيسير فى إحْراز فضل إحياء الليل بعبادة النهار .

**وأمّا الدعاء المستجاب لشرف فى المكان فمنه:**

الدعاء فى مسجد الفتح يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء بين الصلاتين ( رواه البخارى وأحمد ) ، والدعاء فى الملتزم بين الركن والمقام ( الطبرانى وسعيد بن منصور والبيهقى ) ، وفى البرية حيث لا يكون إلا الله ( رواه أبو نعيم ) ، وعند شرب ماء زمزم ( رواه الحاكم ) ، وقد سبقت الإشارة إلى الدعاء فى عرفة ، وعند رؤية الكعبة ، وفى المعركة ، خصوصاً للثابت بعد فرار أصحابه ( رواه أبو نعيم ) .

**وأمّا الدعاء المستجاب لسر فيه :**

فقد جمعناه فى صدر الحزب النبوى الجامع الذى ختمنا به أدعية كتابنا (مفاتح القُرب)، وأفردنا بأدعية الاسم الأعظم فصلا خاصاً – لمن شاء أن يتعبد بها ـ فى رسالتنا ( الحمديات) .



## (٩) الأدعية المرسلة

وقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ طائفة كبرى من الأدعية المرسلة ؛ لغير وقت أو حال ، مما كان يكرره أو يرغب فيه ، ومما حدد له المواقيت أيضا ، وهو كثير جداً فى كتب السنة ، وقد تقصاه بعضهم ، وأدخله كثير من الصوفية فى أحزابهم وأورادهم ، وألف سيدى أحمد بن زروق الشاذلى منه ( وظيفته ) ، وهى من خاصة الوارد فى الصِحَاح ، ومما امتاز بزيادة الترغيب فيه ، وما جمع معانى أو فضائل غيره ، وقد توفر على التبرك بشرحها نفر من السادة (١)، وأبانوا عن فضلها الواسع ومددها الفياض فى كل حال ؛ فليتعبدها مَن شاء خير الدنيا والآخرة ؛ فهى بحر بركات لا ساحل له ( ويقرؤها الشاذلية الشرعيون فى كل صباح ومساء ) مع أورادهم .

---

(١) منهم : الشيخ أحمد بن عجيبة ، ومن معاصرينا الشيخ البهّى الخصوصى ، والشيخ الخطيب ، كما شرحها الشيخ المحدث أحمد عبد الرحمن الساعاتى البنا والد الشيخ حسن البنا مؤسس جمعية الإخوان المسلمين ، وسمى شرحه ( تنوير الأفئدة الزكية شرح الوظيفة الزروقية)

## (١٠) الدعاء والقضاء

**قال الشيخ الغزالى** (١) : « فإن قلت ما فائدة الدعاء، والقضاءُ لامردّ له ؟ فاعلم أن من القضاء ردّ البلاء بالدعاء واستجلاب الرحمة ؛ فالدعاء سبب لرد البلاء كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ؛ فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ؛ فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألاّ يُحمَل السلاح ، وقد قال تعالى ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ النساء : ٧ ، وألاّ تُسقى الأرض بعد بث البذر ؛ فيقال : إنْ سبقَ القضاءُ بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ؛ بل ربط الأسباب بالمسبّبات هو القضاء الأول ، وترتيب تفصيل المسبّبات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ؛ فالذى قدَّر الخير قدره لسبب ،

= وقد اختصرها الإمام حسن البنا ، وزاد عليها ، وسمّاها المأثورات ، والتزم الإخوان التعبد بها .

(١) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى صاحب كتاب إحياء علوم الدين ، ت ٥٠٥هـ .



والذى قدَّر الشر قدّر لدفعه سببا ؛ فلا تناقض فى هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته » انتهى .

**نقول** : ويستأنس لهذا بالإشارة والترتيب فى قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة:٣٧، ومنه ما جاء فى سورة الأنبياء من ذكر الله تعالى نوحا وأيوب وذا النون وزكريا، يقول عن كل منهم ﴿ إِذْ نَادَى ﴾، ويحكى عن نفسه تعالى تعقيبا على ذلك بقوله: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ الأنبياء : ٨٨، والأصل الإرادة العلية، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ – ﴿ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ – ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ .

ومما يدل لذلك ما روى الترمذى (٢٠٦٥، ٢١٤٨، ٢١٨٤)، والبيهقى (٣٤٣٧)، والحاكم (٤ : ٤٠٢) بسند صحيح عن أبى خزامة ابن معْمَر – رضى الله عنه – قال : « سألتُ رسولَ الله ﷺ : أرأيت رُقًى نسترقيها ، وأدوية نتداوى بها، أتردُّ من قدر الله ؟ قال : هى من قدر الله » .

وقد ذكر الشيوخ بأدلتهم أن الدعاء نافع حتى فى القضاء المبرم ؛ فإنه يخففه مادة أو يلطفه موقعًا ، ولذلك

كان من دعائهم في المبرم « اللهمَّ إنا لا نَسْألك ردَّ القضاء، ولكن نَسْألُكَ اللطف فيه » ، وليلاحظ أنَّ الدعوات كالزروع ؛ لجناها وقت محدود ، ولحصادها أجل معدود .

وقد روى النسائي والطبراني والحاكم عنه ﷺ:« الدعاء ينفع مما نزل وممَّا لم ينزل ، وإن البلاء لينزل ، فيتلقاه الدعاء ؛ فَيَعْتَلِجَان إلى يوم القيامة » .

وروى الترمذي وابن حبان والحاكم عنه ﷺ : « لا يردُّ القضاء إلاَّ الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر » .

وروى ابن حبان والحاكم عنه ﷺ : « لا تعجزوا في الدعاء ؛ فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » ، وروى الحاكم عنه ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن » (١) .

وقد روى أحمد (١٨:٣) وصححه الحاكم (٤٩٣:١) من حديث أبي سعيد « أنه لا يضيع الدعاء ؛ بل لا بد للداعي

(١) الحديث رواه الحاكم وأبو يعلى ، وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو متروك ، كما أن فيه انقطاعاً بين علي بن الحسين – رضي الله عنه – وجده علي بن أبي طالب ، والحديث مذكور هنا للاستئناس ، وانظر مجمع الزوائد (١٤٧:١٠) .



من إحدى ثلاث : إمَّا أن يعجل الله له دعوته ، وإمَّا أن يدخرها له في الآخرة ، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها » ؛ فيتضح من هذا أن الداعي رابح على كل حال ، ولو لم يكن له إلاَّ ثواب التضرع والاستحضار والتوجه والذكر ؛ لكفى .

**وهناك دعاءٌ مردود قطعاً**: وهو الدعاء « بالإثم وقطيعة الرحم » على ما رواه الترمذي (٣٣٨١) وغيره، وذهب بعضهم إلى أن هذا النوع من الدعاء يورث الذنوب وسوء الخاتمة، ومنه السبُّ واللعن، إلاَّ للمظلوم كما قال تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ النساء:١٤٨.

كذلك يردُّ دعاء من يَعْجَل كما ورد في حديث البخاري (٩٢:٨)، والترمذي (٣٣٨٧)، ومالك (٢١٣): « يُستجَابُ لأحدِكُم مالم يعجل ، يقول : دعوتُ فلم يُستجَب لي » .

ويُردُّ دعاء آكل الحرام ، والساكت عن الحقِّ ، والغافل اللاه ، ومَنْ كان تحته امرأة سيئة الخُلُق فلم يطلقها ، ومَنْ كان له على رجل مالٌ فلم يشهد عليه ، ومَنْ آتى سفيها ماله، كما ثبت في صحيح الحديث (وفي كل ذلك تفصيل) .

**وهناك دعاء مقبول قطعا** : كدعوة الوالدين ، ودعاء المظلومين ، ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب ، ودعاء صاحب النعمة على من كفرها ، ودعاء المسافر ، ودعاء الصائم عند فطره ، كما ورد فى الأخبار الصحاح ، باتفاقٍ لا خلاف عليه .

## (١١) قراءة الفاتحة

وردت الأحاديث فى الستة الصحاح وغيرها من كتب السنة بأن سورة الفاتحة رُقْيَةٌ ودعاء جامع فوق كل دعاء ، وأنها شفاء من كل داءٍ إلا السام – أى الموت – ، وأنّ لكل آية وحرف منها ثواب مترامى المدد ، وأن الله تعالى يجيب عبده على رأس كل آية منها بجواب قدسى جليل ؛ فتلاوتها من أفضل الأعمال الصالحة والأدعية الناجحة .

وقد اعتاد بعض الصوفيين تلاوتها فى مجالسهم بنية من النيات ؛ لفضلها ثم لسهولتها على العامة والخاصة ، وهم على صواب فى ذلك ؛ لأن تلاوتها لنيةٍ ما إنما هى توسل إلى الله بعمل صالح من حى يرزق ، وقد اتفق السلف



والخلف على الندب إلى التوسل بالعمل الصالح ، ومن الأحياء بصفة خاصة كما جاء فى حديث أصحاب الغار وحديث الأعمى وحديث الاستسقاء بالعباس وغيرها ، فلا خلاف إذن على جوازها على ذلك الوجه بعد هذا البيان ؛ فهى توسل إلى الله بما تيسر من كتابه فلا اعتراض عليه.

## (١٢) الفاتحة أيضا :

ويلاحظ أنّ تلاوة الفاتحة للموتى من الصالحين وغيرهم لاتعدو أن تكون توسلا إلى الله أن يرحمهم أو يخفف عنهم ، أو يرفع من درجاتهم ببركتها ، إن صرفنا النظر عمّا جاء فى المذاهب الأربعة ، وبخاصة عند الحنفية والحنابلة ، ومن حذا حذوهم من علماء الشافعية والمالكية ، من جواز جعل ثواب العمل الصالح للميت ، سواءً كان قرآناً أو ذكراً أو دعاءً أو غيره ، مع تأكيدهم وصول الثواب إليه بأدلتهم و براهينهم .

أمّا القول بضعف بعض الأحاديث فى الاستدلال على جواز ذلك – لو سلمنا به – فإن مجيئ هذه الأحاديث من

غير طريق واحد ، معاضدة بعضها بعضا ، مع الإطباق على جواز العمل بالضعيف فى فضائل الأعمال ، وتأييد علماء المذاهب الأربعة وعمل الأشياخ المقتدى بهم سلفا وخلفا ، وتعانق الفتاوى والمؤلفات ، ثم مافى تلاوة القرآن من البركة والأُنس وإزالة الوحشة واستنزال الرحمة والثواب ، كلُّ هذا ونحوه يعطيها قوة الندب ، ويفتح لها باب الجواز والإباحة ، إن لم يكن الوجوب .

فلا مانع إذن من تلاوتها لمن شاء لهذا الغرض، ولعله ينبغى ألا يكون جعل الثواب للموتى على طريقة الهبة ؛ بل لعل الأسلم التوجه إلى الله أن يوصل الثواب إليهم ، أو يرحمهم، أو يزيد فى شرفهم ببركتها، أو نحو ذلك ؛ فذلك أدنى إلى السلامة ، مجافاة لما فى موضوع الهبة هنا من أقوال .

## (١٣) حكم الدعاء غير الوارد :

لما كان يتعذر على الناس عامتهم وخاصتهم أن يفترضوا كل الفروض ثم يبحثوا فى بطون الصحاح عما يلائمها من المأثور ليحفظوه ؛ فإذا ماجاء وقته وسببه دَعَوْ



الله به ، لمَّا كان ذلك متعذرا يسّر الله لهم الأمر إطلاقاً ؛ فقال تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر:٦٠ ، ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النساء :٣٢ ، ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة:١٨٦ ، أى بالوارد وغيره .

وقال النبى ﷺ فيما رواه أحمد (٢:٤٨٢)، والبيهقى (١:٢١٥، ٧:١٠٢) : « ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » ، وأفسح الأمر أكثر من هذا فقال فيما أخرجه الترمذى (٣٣٨١) ، وأحمد (٣:١٨) ، وصححه الحاكم (١:٤٩٣) ، وأبو نُعَيم فى الحلية (٥:١٣٧) : ( ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، مالم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ) .

ومنه يفهم حديث الترمذى (٣٣٧٠)، والبيهقى (٣٨٢٩)، وأحمد (٢:٣٦٢)، وابن حبان (٢٣٩٧)، وغيرهم عنه ﷺ: « ليس شئ أكرم على الله عز وجل من الدعاء » ، وحديث الترمذى (٣٢٤٧، ٣٣٧٢) ، وغيره : « الدعاءُ هُوَ العبادة » .

ولذلك كان الترغيب فيه مطلقا من كل قيد ، ولم يرد

حرف واحد ينص على حرمة الدعاء بغير الوارد ، وذلك أن الداعى إنما يبتغى بدعائه استباق الخير وفضل الله ، والله العظيم يقول : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٨ ، ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ الحديد : ٢٩ ، ولا حرج على فضله ؛ فليس ثمة شرط مطلقا بوارد ولا غير وارد فى القرآن .

أمّا الحديث فلا يعارض القرآن بتة ؛ وإنما هو مفسر له، ومفصل لإجماله ، ففى حديث ابن مسعود قال : التفت إلينا رسول الله ﷺ ؛ فقال : « إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله ... الخ ، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو » متفق عليه واللفظ للبخارى (١:٢١١) ، وللنسائى بلفظ : « فليدعُ » ، وزاد أبو داود : « فيدعُو به » .

وقيده صاحب « بلوغ المرام » بالدعاء بخير الدنيا والآخرة ، ولم يشترط وارداً ولا غيره ؛ بل رد على القائلين بلزوم المأثور بقوله : « ويردّ القولين قوله ﷺ : « ثم ليتخير من الدعاء أعجبَه » ، وفى لفظ : « ما أحبَّ » ، وللبخارى : « من الثناء ما شاءَ » ؛ فهو إطلاق للداعى أن يدعُوَ بما



أراد » بغير شرط بوارد أو غيره منعا للحرج .

**قلت** : وهذا فى صلب الصلاة ، فكيف بالدعاء فى غيرها ؟ وفى حديث فضالة أن النبى ﷺ قال : « إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناءِ عليه ، ثم يصلى على النبى ؛ ثم يدعُو بما شاء » رواه الترمذى (٣٤٧٧) وصححه، والحاكم (١:٢٣٠)، وابن خزيمة (٧١٠) ، وابن حبان (٥١٠) .

**قلنا** : وهو مؤيّد لحديث ابن مسعود السابق ذكره ، وفيه قيد واحد هو وجوب تقدم الثناء على الله والصلاة على النبى ﷺ قبل كل دعاء .

**ونقول** : إن فى اشتراط المأثور – فضلا عن الحرج الذى ذكرنا – غل لألسن العباد وأفكارها أن تتفنن فى الثناء على الله ، وفيه إيقاف للقلوب والعقول والأفواه عن أداء واجب ربها عليها ، كما يحلو لها وكما تحس به ، وما توفق بفضل الله إليه ؛ فهو تعطيل فيه تحجر وتضليل ، وفيه ردٌ لحديث فضالة المذكور آنفاً ، حيث لم يحدد نص الثناء ولا الصلاة التى قيد الحديث بها الداعى .

وقد أخرج أبو داود فى استفتاح الصلاة بسند جيد ، والبيهقى (٩١٠، ٣٨٤٧) ، وأحمد (٣:٤٧٤)، وابن حبان (٥١٤) ، وابن خزيمة (٧٢٥) عن بعض الصحابة أن النبى ﷺ قال لرجل : كيف تقول فى الصلاة ؟ قال الرجل : أتشهدُ ، ثم قال الرجل للرسول ﷺ : أما إنى لا أُحسنُ دَنْدَنَتَكَ – أى نصّ قولك فى الدُّعاء – ولا دَندَنَة معاذ ؛ فقال النبى ﷺ : «حَوْلَ ذَلِكَ نُدَنْدِنُ أنا ومعاذ » ، ورواية : « حولها نُدَنْدنُ » .

**قال الصنعانى** : « ففيه أنه يدعو الإنسان بأى لفظ شاء من مأثور وغيره ، ثم انظر إلى النبى ﷺ لم يقيد الرجل بلفظ بالذات ، ولا أنكر عليه قوله ، وهو صاحب الشرع ؛ بل تركه وما يحسنه فى الحد المحدود ، ولو كان غير الوارد منكرا ؛ لنهاه النبى ﷺ عن قوله ، وألزمه المأثور بالذات » .

فتعرف مما قدمناه أنه لا حجة بالمرة للقائلين بعدم جواز تلاوة الأحزاب والأوراد والأدعية والتوجهات المتلقّاة عن الأشياخ والمؤلفة منظومة أو منثورة ؛ لعدم ورودها فى الحديث بلفظها كما يزعمون .



وتعرف مما أجملناه لك أنها إن لم تكن واجبة ؛ فهى مندوب إليها لدخولها فى عموم الأمر بالدعاء ، على أن النبى ﷺ لم يترك بجوامع الكلم معنىً إلاّ ضمه إليه ؛ فكل دعاء خيرى هو مردود إلى دعائه ﷺ إن لم يكن بالنص فبالمعنى، وما ورد بالمعنى يأخذ حكم الوارد باللفظ، وإن لم يأخذ فضله.

وفى الصحاح قال ﷺ : « أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ » ، وبهذا يكون قد جاز لنا أن ندعُوَ الله ونقدسه بكل ما تيسر لنا إذ هو فى جملته مشمول بمعنى من معانى الأدعية النبوية فينتقل إليه حكمها .

وقد روى الحاكم (١:٤٩٣) ، وأحمد (٣:١٨) عنه ﷺ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يدعُو الله تعالى إلاّ استجاب له» ، ولم يشترط وارداً ولا غيره، لا تصريحا ولاتلويحا، لا فيما ذكرنا ولا فيما لم نذكر، والميزان الأصولى إذا كان المأثور مأموراً به فالدعاء غير المأثور بشروطه وحدوده غير منهى عنه؛ فهو عفو مباح، وعليه جاءت الأدعية عن الصحابة والتابعين والعلماء والأولياء والصالحين، وكان للدعاء بها أثرٌ بيّن فى

المدد، وفى الاستجابة ، مما يتوارثه الأكابر ، كابراً عن كابر.

**ثم نقول** : إن الوارد بالنص هو أفضل ، ولكن للعالم به والقادر عليه إذ: ﴿ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ البقرة:٢٣٣، وأفضلية المأثور لا تحرم الدعاء بغيره ، ولا تمنع الثواب فيما عداه ، وقد صدق المولى وكذب النّاس : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة:١٨٥.

وعلى رغم أن هذا الباب قد وضح واستوفى ؛ فإنا نروى على بركة الله حديثين جليلين يتممان - إن شاء الله - فصل الكلام فى هذا الموضوع استغناءً بهما عما فى معناهما :

**أما الأول** : ففى سنن أبى داود ( ١٤٩٣، ١٤٩٤ ) ، وأحمد (٥:٣٤٩، ٣٦٠) ، والحاكم (١:٥٠٤) وغيرهم : عن بُرَيْدَةَ - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ سمع رجلا يقول : ( اللَّهُم إنى أسألُكَ بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله الا أنت ، الأحدُ الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد ) ؛



فقال النبى ﷺ « لقد سَأَلْتَ الله تعالى بالاسم - أو باسمه - الأعظم الذى إذا سُئِلَ به أعْطَى ، وإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ».

**وأما الحديثُ الثانى** : ففى سنن أبى داود (١٤٩٥) ، والنسائى : كتاب السهو ، وأحمد (٣: ١٥٨)، وابن حبان (٢٨٣٢) . عن أنس رضى الله عنه : أنه كان مع رسول الله جالساً ، ورجل يصلى ، ثم دعا : ( اللهُمَّ إِنّى اسألُكَ بأنَّ لك الحَمْد ، لا إله إلا أنت ، المنَّانُ بديعُ السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ ) ؛ فقال النبى ﷺ لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطى » (١) .

**وفى هذين الحديثين أمور** :

**الأول** : أن النبى ﷺ سمع بأُذُنِهِ مَنْ يدعو بغير المأثور عنه ، ثم لم ينكر عليه ، وهو كالذى جاء فى حديث الدّندنة الذى أسلفناه .

**الثانى** : أن النبى ﷺ أقر هذا الاجتهاد فى الدعاء،

(١) تكلموا فى بعض رجال أبى داود فى هذا الحديث ، وهو لا يضر هنا ، مع وجود مَنْ عدلهم .

وحبّذه بثنائه عليه ، وبيانه أنه أصاب اسم الله الأعظم .

الثالث : إنه بناءً على ذلك يجوز لمن لا يستطيع المأثور أن يتعبد بغير المأثور من أوراد وأحزاب ومدائح وموالد منظومة ومنثورة ، ولا بأس على العالم بالمأثور أن يضيف إليه ما شاء من غيره ، نقول هذا ، ونستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه .

## (١٤) الصلاة على رسول الله ﷺ:

الصلاة على رسول الله ﷺ ذكرٌ ودعاء ؛ فكل ما يصدق على الذكر والدعاء يصدق عليها تماما ، وقد أمرنا القرآن بها مطلقاً ، ورغّبتنا فيها السنة ترغيبا جامعا يشتمل على كثير من أصول العقائد ، وإدراك النجاة فى الدّارين .

وقدمنا أن الوارد أفضل ، ولعل من أصح الوارد فى الصلاة عليه ﷺ هى الصلاة الإبراهيمية – التى يختم بها التشهد فى العادة – وهناك صيغ واردة أخرى كالتي جاء أنّ النبىّ ﷺ علمها لأعرابى سأله : كيف يصلى عليه ؟ فقال: « قل : اللهم صلّ على محمدٍ وآله وسلّم » ، وفى الباب



سعة لا حد لها كسعة باب الذكر والدعاء ، سواء بسواء .

غير أننا قرأنا رسالة لبعض معاصرينا أفتى فيها بإحراق كتب الأدعية والصلوات ، والموالد والمدائح والأوراد جميعاً ؛ لاشتمالها على غير نص المنطوق النبوى، وقد بيّنا فى الباب السابق فساد تلك الدعوى ، وضلة هذه الفتوى ، وهو إغراق وتعسف ، لولا حسن الظن والتأثم ؛ لقلنا إنه يشبه الفسق والجهل وسوء الأدب .

هذا هو الأمر القرآنى بالصلاة عليه ﷺ غير مشروط بشرط ما ؛ فهو يفيد الفسحة المطلقة فى الحال والمقال والزمان والمكان ؛ بل هو يحث بهذا على الاجتهاد فى الموضوع بما فى الإمكان .

وكذلك السنة فهى تعطى هذا المعنى وزيادة ، وقد فصلناه فى رسالتنا: « البيّنة » (١) ، إذ أن كل ما اشترطته السنة فى هذا الجانب هو قوله ﷺ : «لا

---

(١) رسالة « البيّنة » إحدى رسائل شيخنا رضى الله عنه التى لم تطبع بعد، وقد استوفى شيخنا رضى الله عنه هذا الموضوع فى رسالته : « فقه الصلوات والمدائح النبوية » ، وهى مطبوعة .

تُطْرُونِي كما أطْرَت النَّصارى عيسى بنَ مريم » (١).
فالنهي منصب على أن نجعله في مرتبة الألوهية ، كما قال القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ الكهف:١١٠.

وجاء تفصيل هذا المقام في بردة البوصيري ، إذ يقول رحمه الله:

دَعْ ما ادّعتهُ النَّصارَى في نَبيّهم
واحكُمْ بمَا شئتَ مدحاً فيه وَاحْتَكِمِ
وانسبْ إلي ذَاته مَا شئتَ مِنْ شَرَف
وانسبْ إلي قَدْرِه مَا شئتَ مِنْ عِظَمِ

**أما ما عدا هذا** : فقد سمعه النبيُّ ﷺ من أفواه صحابته، وبخاصة الشعراء منهم كالعباس ، وابن رواحة ، وأنس ، وزهير ، وحسّان ، والأعشى ، وغيرهم ؛ فينقلب هذا الشأن من الإباحة إلى الندب ، ويكون بهذا سُنَّةً إقرارية مطلوبة ، لا تحريم فيها ولا ابتداع .

---

(٢) الحديث متفق عليه : البخاري (٤:٢٠٤،٨:٢١٠) ، مسلم في كتاب القدر ، الباب السابع ، رقم ٣٧ ، واللفظ هنا لأحمد (١:٢٣ ، ٢٤)، والإطراء كما في النهاية لابن الأثير (٣:١٢٣) : مُجاوزَة الحَدّ في المدح .



**قال الحافظ السخاوي** : « وقد رُوِّينا عن ابن مُسْدي ما نصه : « وقد رُوِيَ في كيفية الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وذهب جماعة من الصحابة فمَنْ بعدهم إلى أن هذا الباب لا يوقف فيه مع المنصوص ، واحتجوا بقول ابن مسعود ( مرفوعا وموقوفا ) : « أحسنُوا الصلاةَ على نبيكم ؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه » انتهى .

**نقول** : أخرجه من رواية ابن مسعود ، وذكره في القول البديع ، وفي « الإحياء » حديثا مرفوعا .

**ولذلك قال أبو سليمان الداراني** : « الصلاة على النبي ﷺ لا ترد » ، ولعل من ذلك قوله ﷺ لوفد أطروه : « قولوا بقولكم ، ولا يستَجْرِيَنَّكم الشيطان » رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥ ٣١٨) ، وابن سعد (٧:٢٢) ، وأحمد (٣:٢٤١) ؛ ففيه أمر نبوي بالاجتهاد في الثناء والصلاة عليه في الحد المحدود .

ومن هنا يبين مبلغ الهوج والهوس والتهور الذي أصاب المفتي بإحراق كتب الأدعية والصلوات والموالد

والمدائح النبوية ، الأمر الذى لم يجرؤ على الجهر به أفجر النصارى، ولا أشأم اليهود ، ولو كان للمبشرين أعداء الإسلام أمل مكنون ، ما كان إلاّ أن تحرق كتب الثناء على الله ورسوله ، ونعوذ بالله من السلب وعمى البصائر .

ولعل من الغريب بعد أن تورَّك صاحب هذه الرسالة على شيخه وعقه وشهَّر به وبتآليفه عاد يندد بقول الذاكر والمصلى على النبى ﷺ : ( عدد كذا و كذا ) ، ونحن هنا نضع يده على مأخذ هذا القول من السنة المطهرة ، سائلين - لأنفسنا وله - العفو والغفران .

فقد روى أبو داود فى كتاب الدعاء ، والترمذى (٣٥٦٨) وحسنه، وابن حبان (٢٣٣٠) عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - أنه دخل مع رسول الله على امرأة ، وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ؛ فقال ﷺ : « ألاَ أُخْبِرُكِ بما هُوَ أَيْسَرُ عليكِ مِن هذا ، أو أفضل ؟! فقال : سُبحَانَ الله عددَ مَا خلق فى السماء ، وسُبْحَانَ الله عدد مَا خَلقَ في الأرْض ، وسُبحَانَ الله عدد مَا بَيْنَ ذلك ، وسُبحَانَ الله عدد ما هو



خالق ، والله أكبرُ مِثْلَ ذلكَ ، والحَمْدُ لله مِثْلَ ذلك ، وَلاَ إلَه إلاّ اللهُ مِثلَ ذلك ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوةَ إلاّ باللهِ مِثْلَ ذَلك » .

وروى مسلم فى الذكر والدعاء (٧٩)، وأحمد (١:٢٥٨) وغيرهما ، عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت : «إن النبى ﷺ خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فى مصلاها، فقال لها : ما زلت على الحالة التى فارقتك عليها ؟! قالت : نعم . قال ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوَزَنَتْهُنَّ: سُبحانَ الله وبحَمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزِنةَ عرشه ، ومِدَادَ كلمَاته » (١) .

فذلك وغيره مأخذ قولهم ( عدد كذا وكذا ) من السنة والتوجيه النبوى ، ولا يمكن الاستشكال بخصوص ذلك بالتسبيح ؛ لعدم قيام دليل عليه ، ثم إن كل ما جاءت به الأحاديث الصحاح والضعاف وحتى المناكير ليس فيه ما يدل على حرمة عدم التزام الوارد فى الصلاة على الرسول، ذلك إلى كل ما قدمنا من الأدلة على إباحة الدعاء بغير

(١) وفى الباب آثارٌ كثيرة .

المأثور في حدوده وشرائطه ، والصلاة كما قدمنا ذِكْرٌ ودعاءٌ ينسحب عليها ما ينسحب عليهما من أحكام .

ونحب أن نختم هذا البحث بما رُوِّيناه في بعض المخطوطات القديمة عن مولانا الشيخ محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني في شرح المقدمة : « أنه أفتى على ما ذكره من الأدلة بأن الصلاة على النبي ﷺ لا تُرَدُّ مطلقًا، ولو كانت من العاصي أثناء تلبسه بالمعصية » . انتهى ، وهو أدنى إلى الفضل الإلهي ، وأشبه بالمقام النبوي .

## (١٥) الدعاء عند أهل التسليم :

كل ما قدمنا من شرف الدعاء هو مذهب أهل الاختيار من أهل الظاهر – وكلنا منهم – أما مذهب أهل التسليم من أهل الحقيقة ؛ فهو يغاير هذا الرأي ، ولكنه لا يعارضه من حيث أن هذا فاضل ، وذلك أفضل منه ، والعمل بالأفضل لا ينافي العمل بالفاضل ، وكذلك العكس ، وهو واضح في أنه إذا كان الدعاء مأمورا به ؛



فالتسليم غير منهي عنه إن لم يكن محثوثا عليه [١] ، ولكل من المقامين طائفة ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ ﴾آل عمران:١٦٣ ، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ الأحقاف:١٩ .

ويَبْعُدُ الوصول إلى رتبة التسليم قبل اجتياز رُتبة الاختيار ؛ فالصوفي عادة يبدأ المجاهدة بملازمة الأوراد والأحزاب ، وهي عبادات مختارة ، حتى يصل تقلبا في المعارف وتدرجا في المقامات إلى مرتبة التسليم ، إذ يكون قد ارتقى طبقاً عن طبق ، وتجرد عن أهوائه الممثلة في أدعيته عاكفا على العبادة المجردة ، حتى لقد يرى الدعاء

(١) قال عبد الله بن المبارك : ما دعوتُ الله منذ خمسين سنة ، ولا أريد أن يدعُوَ لي أحد . وقال القائل :

وَيَمنَعُني الشكوى إلى الناس أنني ... عليلٌ ، ومن أشكو إليه عليل
وَيَمنَعُني الشكوى إلى الله أنّه ... عليمٌ بما ألقاه قبل أقُولُ

وقد صبر أيوب – عليه السلام – على ضره سنين، فلما عِيل صبره عرّض بطلبه، ولم يُصرِّح، قال : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ الأنبياء:٨٣.

وكذلك موسى لما ورد ماء مدين ، ويونس لمّا التقمه الحوت ، وابراهيم لمّا ألقي في النار ، وروى الترمذي (٢٩٢٦) ، وقال : حسن غريب : « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أعطيتُهُ أفضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ » والله أعلم .

ذنبا من الذنوب ، إذا لم يكن هو اعترافا محضا ؛ لأنه تفضيل لمراده على مراد الله ، واجتراءٌ وتعالمٌ على مَنْ هو أرحم به وأعلم بما هو أمثل به في حياتيه .

وفيه مخالفة لعموم المفهوم من قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ الأحزاب : ٣٦ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ القصص : ٦٨ .

ولعل أن الدعاء عندهم هو كالتذكير والتوجيه أحيانا، والله يقول: ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ طه :٥٢ ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ الرعد :٣٣، ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ البقرة :١٤٠، ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يونس:١٨، ويُستأنس في ذلك بالتوجيه الجميل في قوله تعالى لمصطفاه: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾القلم :٤٨؛ ففيه إشارات:

**الأولى** : أن الدعاء قد يكون أحيانا أشبه بالتبرم بقضاء الله منه بالصبر والرضا والمعرفة ، ولا يكون التبرم إلا عن نقص في الإيمان .



**الثانية** : أن من دأب المحبوب أن يتدلَّل ؛ ليختبر الحبيب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد :٣١ ، وقوله : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ العنكبوت:٢ ـ ٣ .

ثم إن من دأب المحبِّ أن يتذلل ؛ ليؤكد لمحبوبه صدق حبه ، والدُّعاءُ يشبه التأفف من امتحان الحبيب ، وهو مناف للحب الصحيح .

**الثالثة** : أن الدُّعاء كثيراً ما يكون معلولا بالضرورة التي وَجَّهت إليه ، بدليل أن الإنسان إنما يدعو بما يهمه ، ويترك ما سواه لوقته ؛ فهو عبادة منظور فيها إلى شئ آخر؛ فلا تكون عندهم خالصة لوجه الله ( وحسنات الأبرار سيئات المقربين ) .

**الرابعة** : أن الأمر بالدعاء جاء أكثر ما جاء بصيغة الجمع كقوله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر :٦٠، فهو مقام الجمهور ، أما الأمر بالتسليم ؛ فجاء موجها للفرد

كآية صاحب الحوت هذه ؛ فهو مقام أهل الاختصاص [(١)].

**الخامسة** : بما أن الأمر بالدُّعَاء والأمر بالتسليم نزلا جميعا على نبى واحد ، فى كتاب واحد ؛ فيجب ألاّ يكون هناك تعارض بينهما ، وإنما تكون هنا الرخصة ، وهناك العزيمة ( واللّهُ يحبِ أن تُؤْتَى رخصُهُ كما يحب أن تُؤْتَى عزائمُهُ ) ، و ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ الحج:٦٩.

**هذا** : ثمّ إن من كان شهوده لوجوده ، وظمئت فى نفسه شهواته ورغائبه ؛ فرواها بماء الدعاء ، كان الدّعاء بالنسبة إليه علاجا ضروريا ، ما دامت فيه بقية نفسية تُلِحُّ عليه ، أمّا من كان شهوده لمعبوده ، وذابت بقيتُه الترابية فى أمواه الحقائق ، على نيران المجاهدات ، فى بَوْتَقَة المعارف ، كان الدعاء بالنسبة له إثما ؛ فقد تحقق بأن اللطيف بعباده حكيم عليم ؛ فخيرَتُهُ للعبد أمثل وأتم ، على أنه تعالى عالمُ بمراد العبد قبل خلقه إياه ؛ فكشف العبد

(١) وقد ذكروا أن آخر الآية يدل على أن المراد بالدعاء العبادة ، لا السؤال : لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ ، وحديث الترمذى : « الدعاءُ هو العبادة » أفاده الحافظ فى الفتح (١١ :١٩٧) .



مراده له هو كالشك فى علمه تعالى ، فيكون الدعاء بالإضافة إليه ذنبا من الذنوب .

ولقد يمكن أن يُشْبه الدعاء من بعض الوجوه أسلوب الاقتراح ، والاقتراح عليه تعالى مع الإيمان بلطفه وعلمه وحكمته ضربٌ من سوء الأدب .

على أن بعض المحققين يذهب إلى أن حالىْ الاختيار والتسليم قد يتبادلان قلب العبد بغير مراد العبد . وبخاصة حين يكون فى مقام التلوين [(١)] .

وقد أوضح هذا الجانب مولانا أبو الحسن الشاذلى فى توجهه حيث يقول لمولاه : « **والسعيدُ حقا من أغنيتَهُ عن السؤال منك ، والشقىُّ حقا من حرَمتَهُ مع كثرة السؤال لك ؛ فاغننا بفضلك عن سؤالِنا منك ، ولا تحرمنا مِنْ رحمتك مع كثرة سؤالِنا**

(١) قال بعض العلماء : «الأوقات مختلفة؛ ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل، وهو الأدب؛ فإذا وجد فى قلبه إشارة إلى السكوت، فالسكوت أولى »،وقال القشيرى رحمه الله: ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحقِّ فيه حق فالدعاء أولى، وما كان لنفسك فيه حظ فالسُكوتُ أوْلى، وفى الموضوع كلام كثير.

لك » ، ثم يرقى - رضى الله عنه - إلى أبعد من ذلك ؛ فيقول:

**« واقْرُبْ منّى بقدرتك قُرْبًا تمحَقُ به عنّى كلَّ حِجَابٍ محقْتَه عن ابراهيم خليلك ؛ فلَمْ يحتج لجبريل رَسُولِكَ ، ولا لسُؤالِه منك ، وحجبتَهُ بذلك عن نار عدوه »** إشارة إلى ما يُروى من موقف إبراهيم إذ أتاه جبريل وَشْكَ رمْيِه فى النار يسأله : ماذا يريد ؟ قال إبراهيم عليه السلام : « حسبى من سؤالى علمه بحالى » (١) .

وإنما أثبتنا هذا الإجمال هنا ليس فقط لجدّته وطرافته ، ولكن دفعا لما عالجناه من تورّك مَنْ لا يعلم على مَنْ يعلمُ فى أمثال هذه الموضوعات .

ونستغفر الله ونتوب إليه

---

(١) ذكره البغوى فى تفسير سورة الأنبياء عن كعب الأحبار ، وأشار لضعفه، وانظر كشف الخفاء (١:٣٥٧) ، ونقل فى تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١:٢٥٠) أنه موضوع .



## (١٦) الدعاء باسم الله الأعظم

أخرج البخارى فى ( الأدب المفرد ) عن أنس رضى الله عنه، قال : كنت مع النبى ﷺ فدعا رجل قائلا : ( يا بَدِيعَ السَّمَوات والأرض ، يا حىُّ يا قيُّومُ إنِّني أسْألُكَ ) فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده دعا الله باسمه الذى إذا دعى به أجاب » .

وأخرج أحمد (٣:٢٤٥ ، ٢٦٥) عن أنس رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ، ورجل قائم يصلى ؛ فلما ركع وسجد تشهد ، دعا فقال فى دعائه : ( اللهُمَّ إنى أسألُكَ بأنَّ لك الحمدُ ، لاَ إِلَهَ إلاَّ أنتَ ، بديعُ السَّمَوات والأَرْضِ ، يَاذا الجلالِ والإكْرَامِ ، يا حىُّ ياقيُّومَ ) ؛ فقال ﷺ : « لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذى إذا دُعِىَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى » .

وأخرج الحاكم عن أنس رضى الله عنه أيضاً ، أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: ( اللهُمَّ إني أسألُكَ بأنَّ لك الحمدُ، لاَ إِلَهَ إلاَّ أنتَ الحنَّانُ المنَّانُ ، بديعُ السَّمَوات والأرْضِ ،

يا ذا الجلالِ والإكْرامِ ، أسألُكَ الجنَّةَ ، وأعوذُ بكَ منَ النّارِ ) فقال ﷺ : « لقد كان يَدْعُو الله باسمه الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » .

وأخرج أحمد (٣٣:١٢٠) ، وأبو داود (١٤٩٣ـ١٤٩٤) ، عن بُرَيْدَة ، أن النبى ﷺ سمع رجلا يقول : ( اللهُمَّ إنىَ أسألكَ بأنك أنت الله الذى لاَ إِلَهَ إلاَّ أنتَ، الأحدُ الصمدُ ، الذى لم يَلد ولم يُولد ، ولم يكن له كُفُواً أحد ) ؛ فقال ﷺ : « لقد سألتَ الله باسمه الأعظم ، الذى إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب » ، وجاء نحوه عن امرأة من الصحابة .

وعند البيهقى (٣٨٥٩) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهُمَّ إني أسألُكَ باسمكَ الطاهرِ المبُارك الأحبّ إليكَ ، الذى إذا دُعيتَ به أجبْتَ ، وإذا سُئلْتَ به أعْطَيتَ ، وإذا استُرْحِمتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وإذا استُفْرِجْتَ به فَرَّجْتَ » .

ثم قال : « يا عائشة : هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ؟ » ( يشير إلى ما قال ) .



وأخرج الطبراني فى الأوسط عن أنس ، أن النبى ﷺ دخل على عائشة ؛ فقالت : يا رسول الله : علمنى اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى؛ فأعرض ﷺ بوجهه ، فقامت هى فتوضأت ، ثم قالت (اللّهُمَّ إِنِّى أسْألُكَ منَ الخَيْرِ كُلِّه مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَالَمْ أعْلَمْ، وَبِاسْمِكَ العَظيمِ الَّذِى إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ) فقال ﷺ : « والله إنه لفى هذه الأسماء » .

وفى حديث أبى أمامة مرفوعا عند الطبرانى (٨:٢١٥) أن اسم الله الأعظم أُخفِيَ فى ثلاث سور من كتاب الله : (البقرة ، وآل عمران ، وطه ) ، قال جعفر الصادق – رضى الله عنه – فنظرت فى هذه السور فرأيت شيئاً ليس فى القرآن شئ آخر مثله: فى آية الكرسى ﴿ الله لاَ إلـهَ إلاَّ هُوَ الحـىُّ القَيُّومُ ﴾ البقرة:٢٢٥، وفى آل عمران ﴿ الم * الله لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القَيُّومُ ﴾ آل عمران ١، ٢، وفى طه ﴿ وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَىِّ القَيُّوم ﴾ طه:١١١، أى أن اسم الله الأعظم هو ﴿الله الحىَّ القَيُّومُ ﴾ فيما استنبطه.

وأخرج الطبرانى فى الكبير (٨:٢٨٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذى إذا

دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ... ﴾ إلى آخرها .

وتطول الروايات فى هذا الباب تأصيلا وتفريعاً وتعليقاً وإلحاقا واستنتاجاً ، وليس هذا من مقصودنا هنا ، غير أنه مما تحسن الإشارة إليه ، ماورد ثابتاً من أن اسم الله الأعظم جاء فى دعاء يونس : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء٨٧، وفى دعاء آدم ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف:٢٣، وهناك آثار أخرى أحصينا أكثرها على اختلاف مراتبها عند المحدِّثين – رجاء البركة – فى رسالتنا (المحمديات) .

## (١٧) أدعية أخرى مستجابة :

هذا وقد وردت أدعية صحاح ذكر سيدنا الرسول ﷺ أنه يستجاب لصاحبها ، دون أن يذكر ﷺ أن فيها اسم الله الأعظم ، كالذى ورد عنه ﷺ فى الآيات ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون:١١٥؛ فقد قال ﷺ: « لو قرأ بها رجلٌ موقنٌ على جبلٍ لزال » (١) .

(١) ذكره القرطبى فى التذكرة (٧٥) .



وكالذى ورد فيمن قال: «يا أرحم الراحمين» ثلاثاً؛ فإن ملَكا يقول له: «إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فَسَلْ» .

وكالذى ورد عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه حين قال : (سُبحانك لا إله إلا أنت ، ياذا الجلال والإكرام ، أهْلِكْ هذا الكلب فهَلَكَ ) .

وفى الحديث : « أَلِظّوا بياذا الجلال والإكرام » رواه الترمذى ( ٢٥٢٤ ) ، وأحمد (١٧٧:٤) ، والحاكم (٤٩٨:١) . أى : أكثروا الابتهال إلى الله به ، ومعنى هذا أن فى هذا التعبير مزية الاستجابة ، أو رائحة من اسم الله الأعظم ، ومثل ذلك كثير يرجع إليه فى كتب الدعاء .

## (١٨) ملحقات بالدعاء المستجاب :

وكذلك جاءت الأخبار عن أدعية شتى لا ترد بإذن الله (١) كدعوة المظلوم ، وفى رواية : « وإن كان فاجراً أوكافراً » ، ودعاء الوالد لولده أو على ولده ، والصائم الصادق ، والإمام العادل ، ودعوة المؤمن للمؤمن بظهر الغيب ، ودعوة الحاج حتى يعود ، والغازى حتى يرجع ،

(١) سبق ذكر بعض ذلك ، مشاراً إلى من أخرجه .

والمريض الصالح حتى يبرأ ، والمؤمن المبتلى ، وذى الشيبة الطائع، والملأ يدعو بعضهم، ويؤمن بعضهم على بعض، والدعاء عند الزحف ، وبين الأذان والإقامة ، وفى جوف الليل ، وعند رؤية الكعبة ، وساعة يوم الجمعة ، وعند الملتزم بالكعبة ، وعند الوقوف بعرفة ، وعند كل ختمة قرآنية ، وأدبار الصلوات المفروضات ، وفى السجود ، وعند العطاس ، إلى غير ذلك ، مما وردت به الأحاديث المتعددة ؛ فإن فيها جميعاً نفحة من اسم الله الأعظم فهى مرجوة الإجابة إن شاء الله.

## (١٩) ملحقات بالملحقات :

وعند بعض المفسرين أن وزير سليمان ( آصف بن برخيا ) وهو : ﴿ **الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** ﴾ النمل:٤٠- كما جاء فى القرآن - ، كان من علمه اسم الله الأعظم ، الذى دعا الله به ؛ فأكرمه بأن نقل عرش بلقيس إلى مجلس سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه .

قالوا : وكذلك ( بلعام بن باعوراء ) الذى آتاه الله



آياته فانسلخ منها ، كان من هذه الآيات اسم الله الأعظم.

وذهب بعضهم إلى أن الخضر - عليه السلام - كان قد أدرك منزلته بهداية الله له إلى الاسم الأعظم .. الخ ، وكلها نذكرها من باب ( الاستئناس والاستصحاب ) .

ولكن كثيراً من أهل العلم والربانية يرون أن اسم الله الأعظم هو ( الله ) فإنه الاسم المفرد ، غير المشتق ( على الأصح ) ، وهو لايثنى ولا يجمع ، ولا يسمى به غير الله، وهو يوصف بكل الأسماء الحسنى ، ولا يكون وصفاً لها ، وعدد مرات وروده فى القرآن لا يضاهيها اسم سواه، وأكثر الشاذلية ومذهب الحنفية على هذا الرأى .

**قالوا** : وبما يضاف إليه من النعوت المقدسة يكون سر الأعظمية ، الذى يختلف من حال إلى حال، ومن رجل إلى رجل ؛ فلكل إنسان من ذكره مدد بحسبه ﴿ **هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ** ﴾ آل عمران:١٦٣، ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ الأحقاف:١٩.

وقد رأيت فيما تقدم أن الاسم الأعظم ، لم يكن غالباً لفظاً واحداً ، كما لم يكن صيغة واحدة ، ومعنى هذا أن

هذا الاسم محجوب بحجاب مجموع ما معه من الكلمات، كما أخفيت ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان، وكما أُخفي القطب الغوث فى خضم الجماهير، ولا تنس قصة (أويس القرنى)!! وكما أُخفيت ساعة الإجابة فى يوم الجمعة.

وهذا لا يمنع من أن الله تعالى قد يتفضل فيهب بعض أحبابه سر هذا الاسم ومنطوقه ؛ فذلك أمر يدور فى فلك الإمكان ، ولا حرج على فضل الله ، وفى الحديث الثابت : «أسألكَ بكلّ اسم لك سمّيت به نفسكَ ، أو أنزلتَهُ فى كتابك، أو علمتَهُ أحداً من خلقك ، أو استأثرْتَ به فى علم الغيب عندك » رواه الطبرانى (١٠:٢١٠) .

ومن هنا كان على طالب هذا الاسم الأتمّ ، أن يدعوَ بكلّ ما جاء فيه من الصيغ فعله أن يصادفه ، وليس الدعاء وحده بكاف فى الاستجابة ، حتى ولو صادف الذاكر الاسم نفسه ؛ فلابد من توفر شروط قبول الدعاء فى شخص الداعى، وزمانه ومكانه ، وظاهره وباطنه ؛ فليس الأمر باليسر والسهولة ، بحيث يكفي ترديد هذه الكلمات ،



بعدد أو بغير عدد ؛ بل لابد من تحقق الأهلية والصلاحية فى الداعى أولاً ، وقبل كل شئ ، حتى يكون جديراً بالرقى إلى مقام الإجابة .

## (٢٠) الاسم الأعظم أمانة لها رجالها :

يقول أحد رجال الله المعاصرين - رضى الله عنه - ما معناه:

( ليس الشأن أن تعرف الاسم الأعظم ، ولكن الشأن أن تصبح أنت الاسم الأعظم ) ، وتفهَّم حتى تفهم !!

وقد رووا أن رجلاً ضرب بطون الإبل أياماً وليالى إلى مولانا ( ذى النون المصرى ) يطلب منه الاسم الأعظم ، ثم أمضى فى خدمته وقتاً طويلا ، فألح الرجل على ذى النون فى تحقيق رغبته ، فوعده خيراً ، ثم أعطاه يوماً (طبقاً) عليه غطاء محكم وقال له : اذهب بهذا الطبق إلى أخيك فى الله (فلان) ، وحافظ عليه ، فإنه أمانة ؛ فذهب الرجل بالطبق ، ولكنه فى الطريق فكّر فى أن يعرف ماذا فى داخل الطبق ، فرفع الغطاء ؛ فوثبت ( فأرة ) كان الشيخ قد وضعها فى الطبق ، اختباراً لطالب الاسم الأعظم ! ومدى أمانته ، وصبره على تربية شيخه له .

فعاد الرجل إلى الشيخ وجلاً مضطرباً ، يستغفر عن فعلته ، ويترضى الشيخ ؛ فقال له الشيخ : إنما فعلت ذلك بك قاصداً ، وإذا كنت ياولدى لم تكن أميناً على (فأرة) ؛ فهل تكون أميناً على اسم الله الأعظم ؟!

ثم إن فى موضوع الاسم الأعظم أسراراً وطرائف وإشارات وبدائع ، من علوم الأعداد والحروف واللغة والبيان وغيرها ، ليس هذا مقام الكلام فيها ، وحسبنا هذا الآن ( لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد ) .

أمّا التحقيق العلمى الحازم الحاسم الحاكم على مشروعية التعبد بالأدعية والأحزاب والأوراد والأذكار الشرعية الصحيحة من الوارد عن أولياء الله تعالى ؛ فقد أفردنا له بحثاً مركزاً ؛ ليرجع إليه من يريد الله والدار الآخرة، وربنا الرحمن المستعان .

اللهمّ إنّا نستغفرُك ونتوب إليك ، ونعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونسألك سرَّ الغيب، وغيبَ السرِّ، بما يؤهلنا لصدق عبوديتك ، حتى نكون أهلا لأمانة اسمك الأعظم ، ياربَّ العالمين .



## (٢١) الألفاظ الأعجمية والاسم الأعظم :

**واستكمالا للبحث نقول** : ذهب كثير من الصالحين - بحسن النية والترخص - إلى أن اسم الله الأعظم وارد فى غير اللغة العربية ، ثم لكل لغة بركتها وأسرارها كما فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ الأعلى:١٨، ١٩ ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء:١٩٦، وهو استدلال فيه مقال طويل ، ثم لمجرد الإحاطة والتثقيف نثبت هنا بعض هذه النقول ، إن صحت نسبتها ( ولا نظن ذلك ) :

نقل الشيخ السباعى فى رسالته ( أن اسم الله الأعظم هو هذه الكلمات: ( أَهَمُّ سَقَكَ ، حَلَعْ ، يَص ، طرن )، وهذه هى مجموعة الحروف المعروفة بالنورانية ، من حيث أنها فواتح السور القرآنية ، ولكن لا دليل عليها من الكتاب أو السنة .

ونقلوا عن الجيلانى - رضى الله عنه - فى ورد البسملة أنه: ( طهورٌ ، بَدْعَقُ ، محببهُ ، صورهُ ، مُحببهْ ، سقفاطيسٌ ، بطدُ ، زَهَجٌ ، واحُ ، سقاطيمُ ، أحونٌ ، قاف ، أدَمُّ ، حَمَّ ،

هاءً ، آمين ) ، وهى ألفاظ ساذجة ليس لها دليل علمى قط ، على أنها أو منها أو فيها الاسم الأعظم !!

ونقلوا عن الإمام الشاذلى ما جاء فى ( دائرته ) المعروفة ، وإن كان أكثر أشياخنا – ونحن معهم – ينكر نسبتها إليه جميعاً ، لا محالة .

ونقلوا عن الإمام الدسوقى ، فى أحزابه نحو قوله (بهيابهيات ) أو ( كد كد ، كردد ، كردد ده ده ) . إلى آخره ، وشأنها شأن المنسوب إلى الشيخ الكيلانى تماماً، ونستغفر الله .

أما ما قد يجده الذاكرون بهذه الألفاظ ، من آثار مختلفة ؛ فهى إما من ألاعيب الشياطين ، أو من أثر حسن النية ، أو من صدق التوجه القلبى ، أو محض الصدفة العابرة .

ونقلوا عن بعض الأولياء أن الاسم الأعظم (لقفنجل) أو ( أهطمٌ فَشَذٌ ) .

كما نقلوا عن غير هؤلاء أنه: (أهيا شراهيا، أدوناى، أصباء وت ، آل شدّاى ) ، كما نقلوا كذلك عن بعضهم ما



يسمى (التهاطيل ) السبعة .. الخ .

أما لفظ ( آه ، وهو ) فليس من الأعجمية فى شئ ، وللإمام الرازى فى تفسيره للفاتحة بحثٌ عظيم للفظ ( هو ) يرجع إليه ، ولبعض الشاذليه كلامٌ فى ( آه ) ، وهنا لابد من ملاحظة أمرين غايةٌ فى الأهمية :

**أولا** : أنه ليس فى جميع لغات الأرض لغة أشرف ولا ولا أسمى ، ولا أحب إلى الله ورسوله من العربية ، ويكفيها مجداً وشرفاً وقُدُساً أن نزل بها القرآن الكريم ، وأنها لغة المصطفى خاتم النبيين ، وهى لغة أهل الجنة ، وهى (اسبرانتو ) الإسلام العالمى ، ومعنى هذا أن بها من الأسرار والأنوار والبركات والغيوب ، مالا يمكن أن يكون فى غيرها من اللغات الأخرى على الإطلاق بلا نزاع ، ذلك كله بالإضافة إلى خصيصة سمو البيان والبلاغة ، وأبّهة التركيب ، وإعجاز الأداء ، وخلود المعنى ، وإشراق الحرف واللفظ ، وحلاوة الجملة والديباجة ، وإحاطة المضامين والمفاهيم ، وحسبك ما جاء من أنها اللغة التى سوف يحدث الله بها عباده فى الجنة .

**ثانياً** : إنه لم يأت فى لفظ آية أو معناها ولا فى صحيح أو ضعيف من نص حديث نبوى أو قول صحابى أو تابعى، أو معنى حديث ، تفضيل عبادة الله أو ذكره والابتهال إليه بغير اللغة العربية ، أو أن فى غيرها أية ميزة عليها ؛ فاللجوء إلى غيرها إذن استدبار للأفضل ، وتعلق بالأدنى ، وسقوط على الشُبه والمحاذير ، فى مقام لا يرتبط العبد فيه بغير الأسمى والأسنى ؛ ليرتقى فى معارج القرب إلى حضرات الأنس والمدد الآلهى .

وحسبك الخلاف بين علمائنا فى حكم جواز قراءة الفاتحة بغير العربية فى الصلاة ، وهل تجزئ أم لا ؟ بل هل تصح بها الصلاة أم لا ؟ وهو بحث طويل متشعب يرجع إليه فى كتب الفقه والأصول .

إذن فليس من الجائز – فيما نعتقد ونقرر – الالتفات إلى التعبد بهذه الألفاظ . إلا فى حالتين (عند الاقتضاء الهام ) :

**الأولى** : عند التأكد من تمام مطابقة الترجمة وصحة المعنى ، حتى لا يكون اللفظ شركا ، أو كفراً ، أو معصية،



أو من أسماء الملائكة الأعلياء كما يزعمون ، أو أسماء الجن ، أو ألفاظ السحر ، أو عبثاً يحاسب عليه ؛ فنحن إنّما نعبد الله ونذكُرُه ، لا نعبد الملائكة ولا الجن ؛ فنكفر أو نشرك ، ولا ندرى .

**الثانية** : تكون القراءة لمجرد تحصيل بركة هذه اللغة الأعجمية على فرض أن فيها روائح بركة ، إضافة إلى بركة اللغة العربية ، ثم تيمناً بالقدوة وحسن الظن بالأشياخ فقط ، إذا صحت نسبة هذه الألفاظ اليهم ، ( ولا نظن ذلك ، ولا نجادل من يظن ) ؛ فالذى دسوه زوراً على أولياء الله كثير فى كل جانب ، ولا قوة إلا بالله .

## (٢٢) حول معانى الكلمات الأعجمية :

والمشهور على ألسنة العامة أن هذه الألفاظ ونحوها من المعمّيات ، مما جاء فى بعض الأحزاب والأوارد ، كالذى قدمنا ، والذى فى مثل منظومة ( الجلجلوتية ) أو (البرهتية ) أو غيرهما من منظومات ، تنسب بالحق أو الباطل إلى السادة الصالحين ، الذين جمعوا – بحسن النية – فيها الكثير من الكلمات الأعجمية ، وترجمتها

المشبوهة علميًا ؛ يظن أنها أسماءُ لله أخرى ، قد تكون سببا فى قربهم من الله !!

نقول : إن المشهور عند هؤلاء جميعاً أنها أسماء أو كلمات ( سريانية) ، وليس الأمر كذلك أبداً ؛ فإن اللغة السريانية لغة حية معروفة مدروسة مستعملة متداولة ؛ وخصوصاً بين سريان الشام جميعاً ؛ فقواعد هذه اللغة وآدابها وأشعارها وقواميسها ، كل ذلك موجود معروف ، وهى لغة تدرس فى مصر ضمن اللغات الشرقية بالجامعات والمعاهد ، ولها علماؤها ورجالها ، وأنت لا تجد الكثير من هذه الألفاظ التى أشرنا إليها ؛ بزعم أنها من كلام الأشياخ ، لا يمكن أن ينتسب إلى اللغة السريانية بأية حال ، بتحقيق كبار علماء اللغات !!

ولقد أحصينا مع بعض إخواننا فى الله من علماء هذه اللغات مجموعة كبيرة من هذه الكلمات ؛ فوجدنا منها مع التحريف والاضطراب والمسخ ، ما هو سريانى ، وماهو نبطى ، وما هو قبطى ، وما هو عبرى وما هو فينيقى ، وما هو بابلى أو هيروغليفى أو إغريقى .. الخ .



ومنها مالم ينتسب إلى أية لغة قديمة أو جديدة ، شرقية أو غربية ؛ فإطلاق ( السريانية ) عليها جميعاً كما هو شائع الآن عند بعضهم إطلاق عامى خاطئ ، ولا يضاف أبداً إلى العلم الصحيح ، برغم هذه الترجمات المغلوطة والمختلفة ، التى نقلتها بعض تلك الكتب القديمة ، وصدقها بعض الصالحين بحسن نية، فيما زعموا أنها هى أسماء الله الحسنى؛ فدليلها العقلى أو العلمي مفقود تماماً .

وما دام قد دخل الشك بهذه الصورة العلمية الحاسمة فى هذه الألفاظ فلم يعد لها حكم شرعى مقبول للتعبد بها ، إلاّ بما قدمنا من الشروط على طريق التيسير والتسامح وحسن الظن .

كما أن القول بأن السريانية لغة الملائكة قول جاهل ، فللملائكة لغتهم التى خصهم الله بها دون غيرهم ، وكذلك القول بأن سؤال القبر بالسريانى قول مردود ، انفرد به الشيخ البلقينى ، بلا سند عقلى أو نقلى .

ويظهر أن تعلق الناس بالمجهول والمحجّب والمعمّى ،

والتماس الأمل من كل ما فيه غرابة أو إلغاز أو تعتيم أو تحجية أو إبهام أو رمز ، هو السبب فى الاهتمام بهذا الجانب الأعمى المستبعد المرفوض !!

### (٢٣) لغة أهل الله ( اللغة الملكوتية ) :

غير أن بعض كبار السادة من الأشياخ فى مقام (السكر أو المحو أو الغيبوبة أو الفناء ) تجرى على لسانه ألفاظ ، أو جُمل تلقائية من عالم الغيب أو يُلهم عبارات (ملكوتية ) ، لا تعرفها لغاتنا الأرضية المختلفة ، وهذا ما نسميه نحن بلغة ( أهل الله) ، وهى بحكم مجالاتها ومصادرها الخاصة والعامة ، يستحيل ترجمتها إلى لغات بنى الإنسان ؛ فإنما هى مدارك وأذواق ، ومواجيد وأشواق، وأحوال تتحول إلى أصوات وألفاظ، وبمقدار ما ينبغى لهذه اللغة من الاحترام والتسليم بالنسبة إلى كنهها الذاتى ، ثم إلى مَن جرت على ألسنتهم من الرجال العظام، بمقدار ما يجب – إن صح أمرها – أن نتركها لهم، وإنما يكون نقلها عنهم للتاريخ والإحاطة والاعتبار والتفكير ، والعلم المجرد ، أو للبركة فى أحسن الفروض،



ونكرر عبارة ( إن صحت نسبتها إليهم ) .

**أما التعبد بها** ؛ فإن الله لا يعبد إلا بالمفهوم المعلوم، وبالمعقول اليقيني، وبالمشروع الواضح المشرق الصريح الثابت الصحيح النسبة إلى الكتاب والسنة، وقد جاء فى الحديث الشريف قال ﷺ: «ليس للمرء من صلاته – أى عبادته جميعاً– إلا ما عقل منها»، وإلا فقد كان النبى ﷺ والصحابة أولى بالتعبد بمثل ذلك الكلام المستغلق المردود!

**وبعد**: فإننى أعلم تماماً أننى سَأَستَهدَفُ لغضب بعض الإخوة الدعاة، وبخاصة من الصوفية وغيرهم، فى مصر وخارجها، بسبب هذا التحقيق الجرئ الجديد، ولكننى رجل أؤدى أمانة العلم، والدين والتصوف، أحب أن ألقى الله وهو عنى راض، وليغضب من شاء من الناس كلهم بعد ذلك، فلسوف يعلمون يوماً أنهم قطعاً لم يكونوا على صواب، وإننى إنما أردت الخير لى ولهم ، ولسادتى الصوفية الصادقين فى هذا العصر المذهل، ولا أحب أن ألزم أحداً برأيي، ولا أن يلزمنى أحد برأيه، فلكل وجهة هو موليها،

والله يعلم المفسد من المصلح ، وإليه تعالى ترجع الأمور.

ويجب أن يكون مفهوما أن ( لغة أهل الله ) شئ آخر تماماً كما أسلفنا ؛ فهى غير ما يسمى عند العامة والدهماء باسم ( ضرب اللسان ) أو (اللاوندى ) ؛ فذلك عبث ساخر ، وافتعال ردئ يبرأ منه العلم والدين ، والخلق الكريم والتصوف المستنير .

## (٢٤) والدعاء بالألفاظ الأعجمية أيضاً:

وخلاصة ما سبق : إننا نكرر أنه يجب وجوبا حتميا العلم بأن ما جاء منسوبا إلى أولياء الله من الألفاظ غير العربية فى أحزابهم وأورادهم ، لم تتأكد نسبته إليهم يقينا بالطريق العلمي ، وهذا وحده كاف فى صرف النظر عن الموضوع ، وتجريد الأحزاب والأوراد من هذه الألفاظ .

ولكننا مع هذا نؤكد أننا تتبعنا أسماء ( الجلجلوتية ) و ( البرهتية ) ، وما ورد منسوبا إلى الإمام الدسوقى بصفة خاصة ، وما ورد مما يجرى على ألسنة الكثيرين من أصحاب النوايا السليمة مما ينسب إلى الإمام على وغيره بلا دليل ، تتبعنا هذا كله وعرضناه على أصول اللغات



القديمة ؛ فكان منها القليل ؛ بل النادر الذى يمكن نسبته ترجيحا إلى إحدى اللغات القديمة كاللاتينية والفينيقية والقبطية والعبرية والنبطية والهيروغليفية ، وبخاصة السريانية ، التى ينسبون إليها كل هذه الألفاظ .

ومعنى هذا ( علميا وشرعيا ) أن ( ٩٥٪ ) من هذه الألفاظ أصوات جزافية مجردة بلا أىّ معنى ، ونحن ننزه أولياء الله عن هذا اللغط والهذيان والتفاهة .

وما جاء فى بعض الكتب القديمة شرحاً لهذه الألفاظ ؛ فلم يصح منه شئ عند علماء اللغات القديمة ، وهم أعرف الناس بكل ذلك ؛ فلا اعتبار له على الإطلاق .

والذين ينسبون هذه الألفاظ إلى السريانية يجب أن يعلموا أنها نسبة باطلة تماما ، ولو فرضنا صحتها لكان معنى هذا أن السريانية أفضل من العربية ؛ فهى إذن أفضل من القرآن ، ومن حديث الرسول ، ونستغفر الله؛ فلو كانت هناك لغة أفضل من العربية ؛ لأنزل الله بها كتابه المجيد ، ولعلمها رسوله ﷺ .

كما أن قولهم : إن السريانية هى لغة الملائكة قول،

باطل فاسد ، غير صحيح على الإطلاق ، فللملائكة لغتهم الربانية الشريفة الخاصة بهم ، ولا علاقة لها أبدا بلغات أهل الأرض ، ولا يعلمها غيرهم .

وعند التسليم بصحة نسبة هذه الألفاظ جدلا ، إلى بعض أهل الله ؛ فتكون هذه الألفاظ معبّرة عن لغة خاصة بهم نستطيع أن نسميها ( لغة أهل الله ) ، وهى لغة يلهمون بها فى مقامات القرب ولحظات التجلى ، ومراتب الفناء الحقىّ ، ولا شك أنها لغة تختلف من ولىّ إلى ولىّ ، ومن مقام إلى مقام .

وعندئذ تؤخذ على علاّتها – إن صحت – بلا تأويل ولا تفسير ، إكتفاءً بحسن الظن ، وإن تُليت تتلى تبركا على مُرادِها عندهم وعند الله عز وجل .

وإن كنّا نفضل تركها مطلقا خيفة أن يكون فى هذه الألفاظ ما هو كفر أو سحر أو شرك ، وهذا هو قول أئمة المذاهب جميعا ، وفيما جاءنا من الكتاب والسنة وأذكار السلف العربية كِفَاية المكتفى ، وهداية المهتدى .

والتعبد بالمتفق عليه أفضل ألف مرة من التعبد بالمختلف



فيه، فكيف بالألفاظ المجهولة الأصل، المشبوهة المعانى .

وهنا يجب أن ننبه إلى حرمة التعبد بما يزعمون أنه من أسماء ملائكة الملأ الأعلى ، فالعبادة لله وحده ، خصوصا ما يسمونه ( التهاطيل ) على حروف ( لمقفنجل ) ، إلى آخر هذه الترهات والألفاظ التى تنتهى بلفظ ( آيل ) ، والتى تنتهى بصاحبها إلى الكفر أو الجنون .

ويلحق بها ما صاغوه من ( الحروف النورانية ) ، وزعموا أنه من أسماء الله ، وقد حدد الله الأمر تحديدا فقال: ﴿ ولله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بهـا ﴾ الأعراف:١٨٠، ولا بشئ أبداً سواها، وقد نبّهنا وبيّنا ، والله شهيد ووكيل .

## (٢٥) فضل القراءة والدعاء فى المصحف والكتاب:

يزعم بعض الناس أن قراءة القرآن فى المصحف ، وتلاوة الأدعية من كتاب ، أقل منزلة وثوابا من القراءة الغيبية عن ظهر قلب ، وبذلك صرفوا كثيراً من الناس عن الخير بغير علم ؛ فقد فضل كثير من أئمة العلم قراءة المصحف على قراءة الاستظهار ، مع وجود الاستظهار فعلا .

واستدلوا بما أخرجه الطبرانى والبيهقى مرفوعاً من حديث أوس الثقفى : « قراءة الرجل القرآن فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف إلى ألفى درجة » ، وبما أخرجه ابن مردويه عن عمر بن أوس عن النبى ﷺ : « إنّ فضل قراءة النظر على قراءة الحفظ كفضل المكتوبة على النافلة » .

وفى حديث أبى سعيد الخُدْرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « اعطُوا أعينكم حظها من العبادة ، قالوا : وما حظها من العبادة ؟ قال : النظرُ فى المصحف والتفكير فيه ، والاعتبار عند عجائبه » .

**قلنا** : ومن هنا يظهر سر ما ذكره فى (المدخل) من محافظة السلف الصالح على القراءة فى المصحف حتى كانوا عند التلاوة يحملونه بطريقة تجعل أكثر أعضاء الجسم تلامسه ، مبالغة فى التماس بركته ، وفيه حركة اجتماعية هامة من حيث حمل الناس على التعلم ، وتجويد الخط ، ونشر الكتاب ، وتسجيل ضبطه ، وغير ذلك .

ولا شك أن لاستظهار القرآن فضل لا يقدر، وقد



فصلته السنة تفصيلا لا مزيد عليه، غير أن الاستظهار لا يحرم النظر فى المصحف، والمستظهر لا يتستغنى - مهما يكن شأنه - عن العودة إلى المصحف كذلك ، وكثير من الصحابة - قيل : وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فضلا عن غيره من الصحابة - لم يكونوا يحفظون كل القرآن عن ظهر قلب ، ولم يكن ذلك عيبا أبداً من عيوبهم ؛ لثبوت جملة المعنى الإسلامى فى قلوبهم .

فثبت بذلك استحباب التعبد بقراءة القرآن فى المصحف، ويقاس عليه استحباب التعبد بقراءة الأدعية الواردة ونحوها من كتاب ، ولعلنا إنما اخترنا أن نجعل حجم رسائلنا فى الأدعية من الصغر بحيث يمكن حملها فى جيوب الإخوان مع المصحف ، ليتمتع السالك إلى الله بفضل حمل كلام الله وكلام رسوله ﷺ معاً، وليسهل عليه العودة إلى أيهما شاء فى أية مناسبة شاء ، والله تعالى أعلى وأعلم .

❀ ❀ ❀

## (٢٦) فوائد وفرائد :

هذه بدائع نتمم بها ما قدمنا من بحوث ، وهى أصول لا يستغنى عنها مطالع هذا الكتاب ، بعضها يتصل بما سبق ، وبعضها مستقل بنفسه :

**أولا** : نقل النووى إجماع العلماء على جواز الذكر والدعاء بالقلب واللسان ؛ للمُحْدِث حَدَثاً أصغر أو أكبر، وللحائض والنفساء ، أمّا قراءة القرآن لهؤلاء ؛ ففيها تفاصيل فى المذاهب يُرجع إليها فى مظانها، أمّا فى أثناء الجماع وقضاء الحاجة فيكُره، ولكنه يطلب قبلهما .

**قلنا** : ولا يكره الذكر والدعاء فى الطريق بحيث يُسْمِعُ نفسه ؛ لما ورد من أنه ما من مجلس أو ممشى أو موقف لم يذكر الله فيه إلاّ كان على صاحبه حسرة ، وإن دخل الجنة ، ثم يزداد استحباب الذكر والدعاء فى الطريق إذا هو ألهى عن معصية ، ولم يكن مراداً به الرياء .

**ثانياً** : يجوز قطع الذكر والدعاء ، ثم يعاد إليه عند ردّ السلام ، وتشميت العاطس ، وترديد ألفاظ الأذان وقت سماعه ، ونحو ذلك .



**ثالثاً** : قال سيدُنا سعيدُ بنُ جُبَيْر ما حاصلُهُ : « إن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها ؛ بل كل عامل لله تعالى بطاعة ؛ فهو ذاكر لله تعالى ، ووافقه على ذلك الأكثرون من العلماء المقتدى بهم (١) » نقله فى الأذكار .

وقال ابن حجر فى المشكاة : « مجالس الذكر مجالس سائر الطاعات ، ومن قال : هى مجالس الحلال والحرام أراد التنصيص على أخصّ أنواعه » .

وتعقب الشيخ زكريا الأنصارى فى شرح الرسالة القشيرية قول عطاء : « إن مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام » بقوله : « فإن جميع ذلك ينقل العبد من الغفلة إلى ذكر الله وطاعته » .

**نقول**: ومعنى هذا أنه جعل الحلال والحرام وسيلة إلى الذكر الصحيح؛ فالذكر إذن غاية، والغاية لا محالة أكرم.

---

(١) وعلى هذا يُحمل قوله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلاّ ذكر الله ، وما والاه ، وعالمًا ومتعلّمًا » رواه البيهقى (٤١١٢) وغيره .

وقدّمنا أن الصنعاني قال : « الدعاء ذكر الله وزيادة؛ فكل ما جاء في ذكر الله يصدق عليه » ، نقول : ومنه الصلاة على الرسول ﷺ ؛ فكلها ذكر ودعاء ، شكلا وموضوعا .

**رابعا** : في الترمذي (٣٤٧٩) عن أبي هريرة : « واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ » ، ويذهب بما حول هذا الحديث من المقال حديث الصحيحين : « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل » ، وقدمنا أن الدعاء بعض الصلاة ، وأنه قد يسمى لغة بها ، ثم إن من أدب رجاء الاستجابة ألا يتعجل ففي البخاري (٨:٩٢)، والترمذي (٣٣٨٧)، وأحمد (٢:٣٩٦، ٤٨٧) وغيرهم عن رسول الله ﷺ قال: « يُستجَاب لأحدكم مالم يَعْجَل ، فيقول : قد دَعَوْتُ فلم يُسْتَجَبْ لي » .

وهنا طُرْفَةٌ يحسُنُ ذكرها: ففي أبي داود (١٤٩٨)، والبيهقي (٥:٢٥١) ، وابن سعد ( ٣:١٩٥ ) عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال : « استأذنت رسول الله ﷺ في العُمْرة



فأذن لي ، وقال : « لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك » أو : « أشركنا يا أخي في دعائك » ؛ فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا» .

**قلنا** : وفيها أوضح دليل على أدب الرسول الأعظم ﷺ في التواضع ، وجواز طلب الأعلى لنفسه الدعاء ممن هو أدنى منه .

**خامساً** : قال الإمام النووي رحمه الله : ينبغي لمن بلغه شئ من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ؛ ليكون من أهله ، ولا ينبغي أن يتركه مطلقا؛ بل يأتي بما تيسر منه للحديث المتفق عليه : « إذا أمرتكم بشئ فأتُوا منه ما استطعتم » (١) .

**ثم قال**: « قال العلماء من المحدّثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً ، أمّا الأحكام كالحلال والحرام ، والبيع والنكاح والطلاق ، وغير ذلك ؛ فلا

(١) الحديث رواه البخاري (٩:١١٧) ، ومسلم : كتاب الحج : ٤١٢ ، أحمد (٢:٢، ٥٠٨) والبيهقي (٤:٣٢٦، ٢٥٣) ، والنسائي (٥:١١٠) بروايات متقاربة .

يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن ، إلا أن يكون فى احتياط فى شئ » .

**قلنا** : وهو المذهب العام المعتمد المعمول به ، والإمام أحمد –رضى الله عنه – كان يبنى مذهبه على الحديث المشهور، ولو كان ضعيفاً، إذا لم يوجد فى الباب غيره (١) .

**سادساً** : الدعاء والتوسل بصالح العمل أمْرٌ مُطْبَقٌ على جوازه عند جميع الواقفين على باب الشريعة ، أمّا السائرين فى طريق الحقيقة ؛ فيرون أن فى هذا نوعا من الفخر بالعمل والمنّ به ، وفيه أيضا : ترك الافتقار المُطلق الذى هو أساس القبول ، إذ أن الدعاء يُراد به فى الحقيقة إظهار الفاقة والتجرد عن الحول والقوة ، وذكر صالح العمل فيه يخالف ذلك كله ؛ فيجب عندهم أن يكون الدعاء خالصاً مجرداً حتى يرجى قبوله .

ولعلهم رأوا فى قصة أصحاب الغار وغيرها حكايةً لشرع سابق يراد به حثّنا على ملازمة العمل الصالح كى لا

(١) راجع : ( رسالة فى حكم الحديث الضعيف ) لشيخنا فضيلة الإمام الرائد رضى الله عنه .



تفضلنا أمة نبى آخر ، أو لعلهم فهموا من أحاديث التوسل بصالح العمل أنها تقرير مقام من مقامات المبتدئين ، أمّا مطلق الافتقار فهو من مقامات السالكين ، وأمّا التسليم الذى قدمنا فهو من مقامات المنتهين ، وبهذا يندفع الاستشكال فى هذه الأحوال .

**سابعاً**: أجمع أهل الشريعة والحقيقة على أن أرفع مراتب الذكر ما كان بالقلب واللسان معاً ، ويلى هذه المرتبة ذكر القلب وحده ، ثم يليها ذكر اللسان وحده ، وهو خير من مطلق السكوت والغفلة .

وسناد ذلك كله مراقبة الله كما قال الفضيل بن عياض : « ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما » ، ومنه يتضح قولهم : « ترك العمل من خوف الرياء رياء» .

وذلك يذكرنا بما جاء من عدة طرق عن بعض كبار السلف أنهم كانو يسألون الله تعالى فى صلاتهم حتى شسع النعل - أى رباطه - ومِلْحَ الطعام ، لا يمنعهم من ذلك مانع من أنفسهم أو من الناس .

غير أن بعض العلماء يقولون : إن الأذكار المستحبة والواجبة لا يحسب منها شئ ما لم يتلفظ بها ، وهو أيضا مذهب من فضلَّ الذكر على الفكر ، كالفخر الرازى وغيره من كبار الأئمة .

**ثامنا** : دأب كثير من أصحاب المذاهب الجديدة والمؤلفات المختلفة فى عصرنا ، على سبِّ مخالفيهم ولعنهم ورميهم بالكفر والفسق (١) وغير ذلك ، مما لا يساير ألبتة روح الإسلام ، ولا أدب المسلمين ، وهو يخالف قواعد المناظرة وأصول البحث والكتابة والخطابة ، وينافى تمام الإيمان ؛ ففى الترمذى (١٩٧٧) ، والبيهقى (١٠:٩٣، ٢٤٣)، والحاكم (١٢:١)، وابن حبان (٤٨) ، عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمنُ بالطعَّان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذئ » .

وفى الصحيحين البخارى ( ١١٠:١ ) ومسلم ( ٥٤:٢ ) عن

---

(١) راجع ( الأربعون الخاسمة ردعاً للطوائف المكفِّرة الأئمة) مع رسالة (أهل القبلة كلهم موحدون ) لفضيلة مولانا الرائد .



ابن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتالُه كفر » ، وفى الصحيحين: البخارى (٤٦٥:١٠)، مسلم (١١٨:٢) عن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - عن النبىِّ ﷺ قال : « مَنْ لَعَنَ مؤمناً فهُوَ كقتلِه ، ومَنْ قَذَفَ مؤمناً بكُفْرٍ فهُوَ كقتلِه » .

وفى سنن أبى داود ( ٤٩٠٧ ) ، والحاكم ( ١ : ٤٨ ) عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - عنه ﷺ : « لا يكون اللعّانون شفعاءَ ولا شهداء يوم القيامة » .

وفى الصحيحين : البخارى (٤٦٤:١٠) ، ومسلم (١١٢)، وأحمد (١٦٦:٥) ، واللفظ لمسلم ، عن أبى ذر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « من دعا رجلا بالكفر أو قال : عدو الله وليس كذلك إلا حار - أى رجع الإثم - عليه » .

وفى البخارى (٣٢:٨) ، وأحمد (٤٧:٢) عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - . قال الرسول ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر ؛ فقد باء بها أحدهما ؛ فإن كان كما قال ، وإلاّ رجعت عليه » .

ومن عجب أن يكفّر هؤلاء خلق الله بحمقهم ، والسلف من الصحابة والتابعين لم يكفّروا الخوارج مع ماقيل فيهم، ولم يكفّروا فرقة ( القدرية ) القائلة بأن الله لم يقدّر العصيان والهداية ، ولا هو يقدر على ذلك ، ولا فرقتهم القائلة بأن الطاعة والمعصية أمر قهرى فى الإنسان كالبياض والسواد، ولم يحكم أحد بردّتهم ، ولا بردّة المرْجئة الذين يقولون : إن الإيمان قولٌ بلا عمل ؛ فلا صلاة ولا غيرها تتممه ؛ بل لقد صلى الإمام أحمد خلف بعض أئمة الجهمية ، الذين يقولون ، ليس على العرش إله يُعبد، وليس فى الأرض لله كلام ، ولا له صفات ، ولم يسحب أحد على مقتوليهم ولا أمواتهم حكم الردّة ؛ بل غسلوهم ، وكفنوهم ، وصلوا عليهم ، وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة ؛ ففى الطبرانى (١٢:٢٧٢) عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « كفّوا عن أهل لا إله لا الله، لا تكفّروهم بذنب ؛ فمن كفّر أهل لا إله إلا الله ؛ فهو إلى الكفْر أقرب » (١) .

(١) ورواة الطبرانى متكلم فيهم ، والحديث الذى بعده يؤيد معناه ويقويه .



وفى أبى داود (٣: ١٨) عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عنه ﷺ قال : « ثلاثٌ من أصل الإيمان : الكفُّ عمن قال : لا إله إلا الله ، لا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل ، ....» .

وقد جاء فى الصحيحين : البخارى ( ٨ : ٦٧ ) ، ومسلم (٧:١٦٣) ، أن خالداً استأذن النبى ﷺ فى قتل منافق فأبى النبىّ ﷺ وقال : لعله يصلى ؛ فأوضح خالد للنبىّ ﷺ رأيه فيه ؛ فقال النبى ﷺ : « إنى لَمْ أُوْمَرْ أن أنْقُبَ عن قُلُوب النّاس ، ولا أشقّ بطونَهُم » .

وروى مالك (٥٦٩) ، والشافعى (١:١٣ ترتيب) ، وأحمد (٥:٤٣٣) نحو ذلك عن عُبيد الله بن عدى : أن رجلاً من الأنصار استأذن فى قتل منافق ؛ فمنعه النبى قائلا : «أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ ثم قال : أولئك الذين نهى الله عن قتلهم » .

وفى الحديث عنه ﷺ قال : « أُمرْتُ أن أُقَاتلَ النّاسَ حتى يقولوا لا إله إلاّ الله؛ فإذا قالوها عَصَمُوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله » رواه البخارى

(٣٣٩:١) ، ومسلم (٢١١:١) ، وأحمد (٢٧٧:٢) ، وابن ماجه (٢٩٢٧،٢٩٢٨)، وغيرهم .

**تاسعاً** : كررنا فيما قرّرنا هنا : ذكر أهل الحقيقة والتصوف ، ونحب أن نسجل هنا كذلك أننا نعتقد أن الحقيقة هى أثر الشريعة كالضوء أثر للشمس ، والنور أثر لزيت المصباح ، والثمرة أثر للشجرة ، والحركة نتيجة للحياة، ولا يمكن الوصول إلى الأثر قبل الحصول على المؤثِّر ؛ فما قلنا أهل الحقيقة إلا أردنا مَنْ تمسك بالشريعة إلى غايتها ، حتى أدرك منها ثمرتها ؛ فلا فرق عندنا بين شريعة وحقيقة ، ولكنهما شئ واحد ، كالروح فى الجسد، والماء فى العود .

وإن المحقق الكامل ليتصل بروح الرسول يقظة ، فيسألها عن الصحيح والسقيم من الأحاديث والأحكام وغيرها ؛ فعبادته أصح ، وعبوديته أسلم ( وتمام البحث فى كتبنا الأخرى ) (١) .

(١) راجع ( أصول الوصول ) للإمام الرائد ، وللسيوطى فى ذلك ( تنوير الحلك فى رؤية النبى والملك ) .



**عاشرا** : الإسلام فى كل شئونه دين عقل وذوق ويسر وجمال ؛ ففى المتفق عليه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عنه ﷺ : « إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ فى الأمْرِ كُلِّه » رواه البخارى (١٤:٨، ٧١ ، ١٠٤) ، ومسلم كتاب البر (٧٧) وغيرهما .

وروى مسلم فى البر والصلة (٧٤، ٧٥، ٧٦) ، وأبو داود (٤٨٠٩) والبيهقى (٣٦٨٧) وأحمد (٣٦٢:٤، ٣٦٦) أنّ رسول ﷺ قال : « من يُحرَمُ الرفقَ يُحرَمُ الخير كله » .

والرفق فى الحديثين : عام شامل ؛ فهو يضم الرفق فى القول والعمل والفهم والإفهام وغيره ، وهو قوله ﷺ : «بُعثْتُ بالحنيفية السمْحَة – السهْلَة –» رواه أحمد (٢٦٦:٥) .

وعليه حديث البخارى (٦٥:١، ٣٧:٨) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « بال أعرابى فى المسجد فقام الناس ليقعوا فيه ؛ فقال النبىّ ﷺ: دَعُوه ، وهريقُوا على بوله سَجْلاً – أو ذَنُوباً – من ماءٍ ؛ فإنما بُعثتم مُيسِّرين ، ولم تُبعَثُوا مُعسِّرين » .

ولذلك كان ما جاء فى المتفق عليه عن عائشة « ما

خَيرَ رسول الله بين أمرَين قط إلاّ اختار أيسرهُمَا ما لم يكن إثمًا » رواه البخارى ومسلم، وكان يقول ﷺ : « يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا ، وبشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا » .

ومنه يفهم سر الترغيب فيما رواه الترمذى (٢٤٨٨) ، وابن حبان (١٠٩٧) عن ابن مسعود رضى الله عنه : عنه ﷺ أنه قال : « ألا أُخبركُم بمَنْ تَحْرُم عليه النّار ؟ تَحْرُمُ على كل قريب هينَ ليّن سهل » ؛ فتلك هى روح الإسلام تيسير ورفق فى حدود المباح .

ولهذا قال ﷺ فيما رواه البيهقى (٣:١٨ ، ١٩) : « إنّ هٰذا الدينَ متينٌ فأوْغلْ فيه برفق ؛ فإنّ المُنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهراً أبْقَى » ، وأيد ذلك بقوله فى رواية البخارى (١:٩٣ ، ١٦٣) « إنّ الدينَ يسرٌ ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غَلَبَهُ ، « فسدّدُوا وَقاربُوا » ؛ فتأمل معنى سددوا وقاربوا ، وما فيهما من التيسير والتوسعة .

وعليه ما جاء فى السنن عنه ﷺ: «ألاَ هَلَكَ المُتَنَطّعُونَ» رواه أبو داود (٤٦٠٨)، وأحمد (١:٣٨٦)، والطبرانى (٧:٢١٦)، وقوله ﷺ : « ما أمرتُكمُ به فأْتُوا منه ما استطعتم » رواه



أحمد (٢:٤٨٢) وغيره ، وعليه قوله ﷺ لمعاذ ـ رضى الله عنه ـ حين أغرق فى إطالة الصلاة : « أَفَتّانٌ أنتَ يا مُعَاذ ؟ » رواه أحمد (٢:٢٩٩) وغيره ، على أن مُعَاذًا لم يجترح ما اجترحه هؤلاء من تعسف وتشديد وتمذهب يُفضى إلى التجهيل والتعطيل والتضليل .

ولأمرٍ ما قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج : ٧٨ ، ولأمرٍ ما رضى النبى ﷺ عن الجارية التى سألها أين الله ؟ فقالت فى السماء ؛ فأمر بعتقها ؛ وشهد بإيمانها، كما جاء فى الصحيحين .

فتلك هى روح الإسلام . وتعاليم رسوله الأعظم نسرد بعضها سرداً سريعًا ، طَمأنَةً وهدايةً وتحقيقاً ، لا يرقى إليه تجريح بتصريح ولا تلويح .

**حادى عشر** : « فى الجامع الصغير » برمز أحمد والنّسائى ، وابن سعد، والبغوى والبارودى ، وابن قانع ، والطبرانى عن زيد بن خارجة عن النبىّ ﷺ أنه قال : «صلوا علىّ واجتهدوا فى الدعاء » ، ورمز لصحته ، وكذا شارحه ( المناوى ) ؛ فهذا الحديث يضاف إلى فضل جواز

الدعاء بغير المأثور ؛ لأن قوله ﷺ : « واجتهدوا فى الدعاء»، عامٌ يشمل الاجتهاد بمعنى الدأب والاستحضار والاستغراق ، وبمعنى اختيار الألفاظ والعبارات ، وبمعنى الحرية فى هذا وذاك معا ، مادام فى حدوده وشروطه .

**ثانى عشر** : يستشكل بعضهم على إحياء ليلة الجمعة بالعبادات المختلفة ، بحديث مسلم : « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى »، ولكن فى هذا الحكم – على علاته – تفصيل ؛ فالممنوع به :

**أولا** : تخصيص ليلة الجمعة بالقيام ، فلو قام العبد ليالى أخرى من الأسبوع انتفى التخصيص ، وزال أثر الحكم ، والمعروف أن الصوفيين يحيون كل ليالى الأسبوع على الغالب ، إن لم يكن بطريق جماعية ؛ فبطريقة فردية ، وبهذا لا ينسحب عليهم حكم الحديث .

**ثانياً** : الممنوع فى الحديث هو القيام – أى التهجد بالنافلة – فلو أحيا الناس ليلة الجمعة بعبادة غير التهجد صحّ باستحباب .



والأصل فى ذلك قوله ﷺ « أكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الأزهر » ، أى : ليلة الجمعة ويومها ، رواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ، ورواه ابن عدى فى الكامل عن أنس ، ورواه سعيد بن منصور عن الحسن البصرى ، ورواه خالد بن معدان ( مرسلا وحسنه ) ، ورواه الطبرانى كذلك ، وقال علماء الحديث : « ويتعدُّد طُرُقِه صار حسنا » .

وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة علىَّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة ؛ فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشفعيا يوم القيامة » رواه البيهقى عن أنس ( وحسنه ) ، وخرجه العراقى فى أبى داود والنسائى وابن حبان والحاكم وقال : « صحيح على شرط البخارى » من حديث أوس بن أو س .

ذلك بالإضافة إلى ما جاء من استحباب قراءة الكهف فى ليلة الجمعة يعطينا إباحة تخصيص إحياء هذه الليلة بغير التنفل ، إذ أنه يقاس الذكر والدعاء على التلاوة والصلاة ، وفى الإباحة التى عرفت مأخذها مما قدمنا ، ولا

شك أن التلازم واضح بين التلاوة والصلاة على الرسول ﷺ والذكر والدعاء ؛ فاستحباب بعضها يسحب على باقيها قياساً على الشروط المقررة ، ذلك إنْ لم نقل بسبق حديث مسلم على ما بعده ؛ فيكون كالمنسوخ ، على أن مفهوم النهى فيه - على رأينا - ليس للتحريم ، ولكن لدفع الكسل عن العمل فى مختلف ليالى الأسبوع اعتماداً على العمل فى هذه الليلة ؛ فترى أن أى وجه فتشته فى الحديث أعطاك صحة عمل الصوفيين فى هذه الليلة ، وكشف عن صدق عملهم ، ونفاذ بصرهم وبصيرتهم .

**ثالث عشر** : أفتى الحافظ ابن حجر فى كتابه «الزواجر» بأن ترك الصلاة على النبىّ ﷺ عند سماع ذكره من الكبائر .

ونقل الشوكانى عن الفاكهانى « أن ذلك أقبح بخل وشح، لم يبق بعده إلا الشح بكلمة الشهادة » .

**نقول** : وينبغى أن يتحرز الإنسان من الاعتقاد فى أكثر هذه الصيغ التى يهوِّل رواتها فى فضلها ، بما لا يتفق مع العقل والشرع ، ويجب عرضها قبل التعبد بها



على أهل الذكر والبصر .

**رابع عشر** : يجوز كتابة بعض الأدعية وحملها تبركاً ، ومن باب أولى يجوز ذلك فى الآيات القرآنية ، وخصوصاً لمن لا يستطيعون النطق بها ، أو المحافظة على صحة نصها ، وهو رأى ابن المسيِّب وغيره من السلف ؛ بل هو قد أجاز فى الرقى أن تكن شرباً أو دهناً أو غير ذلك .

وفى أذكار النووى صحيحاً عن ابن عمرو - رضى الله عنهما - أنه كان يكتب لمن لا يحسن النطق من أبنائه بعض الأدعية ؛ ليحملها تبركاً ، كما جاء مثل ذلك عن عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء الراشدين .

وظاهر أن ذلك إنما يُلتَمس من أهل العلم والبركة الذين لا يجعلونها حرفة ، ولا يتخذونها معاشا ولا تجارة ، وهو لا يمنع من التماس العلاج الطبى فى الأحوال المختلفة؛ بل هو مطلوب معه، جمعاً بين علاج الجسم والرُّوح (راجع تحقيقنا لكتاب المرجع للإمام الوالد رحمه الله ).

❀ ❀ ❀

## (٢٧) خاتمة الفواتح

قد تركنا بيان فضل كل صيغة فيما نقلناه مما وردت به الأحاديث ، اكتفاءً باليقين بأنّ فى كل صيغة جزاءً ربانياً فوق مرام الداعى وتصوره ، بما لا حد له من فضل الله فى الدنيا والآخرة ، ولأنه من كمال الأدب أن يتعبد الإنسان ؛ لمحض العبادة والقدوة والامتثال ، لاخوفاً من عقاب ولا طمعا فى ثواب ؛ فإن غير هذه العبادة تكون مدخولة سطحية معلولة ناقصة عند السادة الصوفية والعلماء العارفين ، فمن كمال العبودية القيام بالواجب ، بغير نظر إلى ما سواه ، أو طلب ما يقابله من أجر وثمن ، وهو الأمثل فى الإقبال على الله ، والعمل على رضاه .

**وقد قال سيدنا الحسن بن الإمام على** - رضى الله عنهما -:

«إنّ قوماً يعبدون الله طمعا فى الجنة ؛ فتلك عبادة التجار ، وآخرون يعبدون الله خوفاً من النار ؛ فتلك عبادة العبيد ، وفرقة ثالثة تعبد الله شكراً له ؛ فتلك عبادة الأحرار » .

**نقول** :« وقوم يعبدون الله لذات الله ؛ فتلك عبادة الأبرار » .



هذا وجه ، ووجه آخر : هو رغبتنا الدائمة فى الاختصار ، والوصول إلى الغاية من أقرب طريق ، وتقديم الزاد للمسافر إلى الله بغير قشور ، وفى غير تسويف .

**وأمّا ما جمعته فى هذه الرسالة** (١) **من الأدعية** ؛ فليس كل ما ينبغى أن يُجمَع . ولكنى التزمت أهم ما تَمسُّ إليه الحاجة تاركاً سواه . إمّا لكثرة العلم به ، أو لندرة حدوث سببه ، أو لعدم تحديده بوقت أو حال مخصوصة ؛ أو لانقطاع العمل به على الخاصة ، أو نحو ذلك ، ممّا رجح عندى ترك ضمه إلى هذه المجموعة ، وإذا كان فى شئ ممّا جمعته هنا أقوال أو علل ؛ فأحبُّ ألاّ يعزب عن الذهن أننى بَصُرْتُ بها ، ومحصتُها بما فى طاقتى الضعيفة ، ثم رجّحت إثباتها لما قام لها عندى من دليل .

ويلاحظ أننا قد ذكرنا فى كل فصلٍ مما سيأتى – أى:

(١) أى: رسالة (مفاتحُ القُرْب) ؛ فإن هذه الرسالة (فواتح المفاتح) إنما كتبها شيخنا - رضى الله عنه - كمقدمة على رسالته ( مفاتحُ القرب) التى ضمنها عدداً كبيراً من أدعية الرسول ﷺ والسلف الصالح ثم أتبعها بما منّ الله تبارك وتعالى به عليه من الأدعية والأحزاب .

من رسـالة ( مفـاتح القُرْب ) - عـدداً من الأدعيـة ، هى أهم مـا جـاء فى مـوضـوعـه ؛ فللداعى حـرية الجـمع بينهـا ، أو الاقتصار على ما يختارُ منها .

والمأمول فى الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم ، وأن يتجاوزَ عمّا فيها بفضله العميم .

*** وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وبارك وسلم ***

المفتقر إليه تعالى وحده

**محمد زكي إبراهيم**

---

* تم تأليف هذه الرسالة بقايتباى : القاهرة فى شهر ( المحرم سنة ١٣٥٦ هـ) الموافق (مارس ١٩٣٧م ).

* وقام شباب أمانة الدعوة بإعادة طبعها فى شهر (شوال سنة ١٤١٤هـ ) ، الموافق : (مارس ١٩٩٤م) مزيدة منقحة محققة ، والله الموفق .

*** تمت بحمد الله ***

١٠٧٢٦ / ٢٠٠٠
دار نوبار للطباعة